النوادر المُطربة

تأليف

إبراهيم زيدان

الكتاب: النوادر المُطربة

الكاتب: إبراهيم زيدان

الطبعة: ٢٠٢١

الطبعة الاولى ١٩٠٣

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

زيدان ، إبراهيم

النوادر المُطربة / إبراهيم زيدان

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٥٤ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٠ – ٢٦٦ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٣٢٥٢ / ٢٠٢١

النوادر المُطربة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

القسم الأول

النوادر الأدبية

الأذكياء في مجلس عمر

كان زياد جالسًا بمجلس عمر، فأملى عمر على كاتبه كتابًا سرًّا، فكتب الكاتب خطأ، فقال زياد: يا أمير المؤمنين، إنه كتب غير ما أمليته، فتناول عمر الكتاب فوجد الأمر كما قال زياد، فقال عمر لزياد: من أين علمت هذا؟ قال زياد: سمعت كلامك ورأيت حركة قلمه فلم أرَ بينهما اتفاقًا.

ذكاء بهلول

مرَّ بهلول بقوم في أصل شجرة يستظلون بفيئها، فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر على بهلول، فلما اجتمعوا به قال أحدهم: يا بهلول، تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة، قال: نعم، فأعطوه الدراهم، فصرَّها في كمه ثم قال: هاتوا سلمًا، فقالوا: لم يكن في شرطنا سلم، قال: إن شرطي هو دون شرطكم.

عندك كام سنة؟

قال رجل لهاشم بن القرطي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر، قال: لم أرد هذا، قال: فما أردت؟ فقال: كم تعد من السن؟ قال: اثنين وثلاثين سنًّا من أعلى وستة عشر من أسفل، قال: لم أرد هذا؟ قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنة؟ قال: ما لي منها شيء، كلها لله عز وجل، قال: فما سنُّك؟ قال: عَظْم، قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين، أب وأم، قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليَّ شيء لقتلني، قال: فكيف أقول؟ قال: قل «كم مضى من عمرك».

الكرماء يد بيضاء

أتى روح ابن حاتم برجل كان متلصصًا في الطريق، فأمر بقتله فقال: أصلح الله الأمير، لي عندك يد بيضاء، قال: وما هي؟ قال: إنك جئت يومًا إلى مجمع موالينا «بني نهشل» والمجلس حافل، فلم يتحفَّز لك أحد، فقمت من مكاني، ثم جلست فيه، قال ابن حاتم: صدق، وأمر بإطلاقه، وولَّاه تلك الناحية وضمَّنه إياها.

هبة يزيد بن مزيد

قال بعضهم: كنا مع يزيد بن مزيد، فإذا نحن بصارخ في الليل ينادي قائلًا: يا يزيد بن مزيد، فقال يزيد: عليَّ بالصارخ، فلما جيء به قال له: ما حملك على النداء بهذا الاسم؟ فقال: نقبت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر فتمنيت به، فقال له: وما قال الشاعر؟ فأنشده:

إذَا قِيلَ مَن لِلّمَجْدِ وَالجُودِ وَالنَّدَى ... فَنَادِ بِصَوْتٍ يَا يَزِيدُ بْنُ مَزِيدِ

فلما سمع مقاله هشَّ له وقال: أتعرف يزيد بن مزيد؟ قال: لا ...

قال: أنا هو يزيد، وأمر له بفرس أبلق كان مُعجبًا به وبألف درهم وصرفهُ.

أكرم الأمة

دخل جعيفران – واسمه جعفر بن علي كركزي – على أبي دلف فأنشده:

يَا أكرَمَ الأُمَّةَ مَوْجُودًا ... وَيَا أَعَزَّ النَّاسِ مَفْقُودَا

لَمَّا سَأَلتُ النَّاسَ عَنْ سَيِّد ... أصبح بين النَّاس محمُودا

قالُوا جَميعًا إنَّه قَاسِم ... أَشْبه آباء لَهُ صيدَا

لَوْ عَبَدَ النَّاسُ سِوى رَبّهُمُ ... لكُنتَ فِي العَالَمِ مَعْبُودَا

فقال له: أحسنت يا غلام، أعطه ألف درهم، فقال: أيها الأمير، وما أصنع بها؟ مر الغلام يأخذها ويعطيني منها كل يوم عشرة دنانير إلى أن تنفد، قال أبو دلف: أعطوه الألف، ومتى جاء أعطوه ما سأل، فأكب جعيفران على يديه يقبلهما وخرج شاكرًا حامدًا.

مروءة ابن جعفر

كان عبد الله بن جعفر من الأجواد الذين يعمون بجودهم طوائف العباد، فانتهى به إلى الإفلاس وضيق عليه، إلى أن سأله رجل فقال له: إن حالتي متغيرة بجفوة السلطان وحوادث الزمان، ولكنني أعطيك ما أمكنني، فأعطاه رداء كان عليه، ثم دخل منزله وقال: اللهم استرني بالموت، فما مر بعد دعوته إلا أيام حتى مرض ومات.

لله در بني سليم

وفد عمرو بن معدي كرب الزبيدي على مجاشع بن مسعود السلمي، وكان بين عمرو وبني سليم حروب في الجاهلية، فقدم عليه في البصرة يسأله الصلة، فقال له: اذكر حاجتك، فقال له: حاجتي صلة مثلي، فأعطاه عشر آلاف درهم وفرسًا من بنات الغبراء وسيفًا جرارًا ودرعًا حصينة وغلامًا خبازًا، فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس: كيف وجدت حاجتك؟ قال: لله در بني سليم، ما أشد في الهجاء لقاءها وأكثر في الأواء عطاءها وأثبت في المكرمات بناها.

الكريم والعاشق

رجع أسماء بن خارجة يومًا إلى داره فرأى فتى بالباب جالسًا فقال: ما أجلسك هاهنا؟ قال: خير، قال: والله لتخبرني، قال: جئت سائلًا أهل هذه

الدار ما آكل، فخرجت إليَّ جارية اختطفت قلبي وسلبت عقلي، فأنا جالس لعلها تخرج ثانية فأنظر إليها، قال: أتعرفها إذا رأيتها؟ قال: نعم فدعا كل من في الدار من الجواري وجعل يعرضهم عليه واحدة بعد أخرى حتى مرَّت الجارية، فقال: هذه فقال: قف مكانك حتى أخرج إليك، ثم دخل وخرج والجارية معه فقال للفتى: إنما أبطأت عليك لأنها لم تكن لي إنما كانت لإحدى بناتي، ولم أزل بها حتى ابتعتها منها، خذ بيدها فإني قد وهبتها لك، وهذه الألف أصلح بها من شأنك.

إكرام النفس

قال الأصمعي: اجتزت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من الحي وعلى كتفه جرة وهو ينشد ويقول:

وَأَكْـرِمِ نَفْسِـي إنَّـني إن أهنتُهـا وَحَقِّكَ لَم تكرم عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فقلت له: تكرمها بمثل هذا، فقال: نعم، وأستغني عن سفيه مثلك إذا سألته يقول صفح الله لك، فقلت: تراه عرفني، فأسرعت فصاح بي يا أصمعي، فالتفت إليه فقال:

لنَقـلُ الصَّـخرِ مـن قلـل الجبَـالِ أَحَـبُّ إليَّ مِـن مـنَنِ الرِّجَـالِ
يَقـولُ النَّـاسُ كَسـبٌ فِيـهِ عَـارٌ وَكُـلُّ العَـارِ في ذُلِّ السُّـؤَالِ

الثقلاء

الثقيل والدواء

قيل لمحمد بن زكريا الرازي: أيهما أمر؟ الثقيل المبرم أم شرب الدواء الكريه الرائحة المر الطعم؟ فقال: ما أكسب الدواء إن أعقبه الشفاء، فإن مجالسة الثقيل تُجلب الإسقام وتحل الأجسام وتورث الأحزان وتؤلم الأبدان وتهد الأركان، وشرب الدواء يجلو الأجسام ويحلل الإسقام ويدفع الأحزان وينشط الكسلان ويقوي الأبدان.

الضيف الثقيل

دخل ثقيل على الصاحب بن عباد فأطال الجلوس وأبرم في المحادثة، فكتب الصاحب رقعة وأعطاه إياها فقرأها فإذا فيها:

إنْ كُنـتَ تَـزعمُ أنَّ الـدَّارَ تَملِكُهَـا   حَـتَّى نَقُـوم فَنَبغِـي غَيرَهَـا دَارَا
أَوْ كُنْـتَ تَعْلَـمُ الـدَّارَ أملِكُهَـا   فقُمْ لكي تـذهبَ الأشـجَانَ وَالعَـارَا

وثقيل آخر

قصد حماد الراوية دار مطيع إياس، فكتب إليه يسأله الدخول عليه:

هَـل لـذِي حَاجَـةٍ إلَيـكَ سَـبِيلُ   لَا يُطِيـلُ الجُلُـوسَ فِـيمَن يُطِيـلُ

فلما قرأها أجابه:

أنـتَ يَا صَـاحِبَ الْكِتَـابِ ثَقِيـلُ   وَكَثِـيرٌ مِـنَ الثَّقِيـلِ الْقَلِيـلُ

آباء وأبناء

عدي بن حاتم وابنه

حُكي أن عدي بن حاتم الطائي أقام مأدبة فقال لولده – وكان صغيرًا – يا ولدي، أقم على الباب، وأذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف، فقال: والله لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع أحد عن طعام، فقال عدي: والله يا ولدي أنت أكرم مني وأفطن، افتحوا الباب لمن شاء فليدخل.

أعرابي يرثي ولده

إِذَا مَـا دَعَـوتُ الصَّـبرَ بَعـدَكَ وَالبُكـا أَجَـابَ البُكـا طَوعًـا وَلَم يُجِـبِ الصَـبرُ
فَـإِن تَقطَعــي مِنــك الرَجــاءَ فَإِنَّــهُ سَيَبقى عَلَيـكِ الحُزنُ ما بَقِـيَ الـدَّهرُ

وقال آخر:

بُــنَيَّ لــئن ضــنَّت جُفــونٌ بمائهــا لقــد قَرِحَــتْ مــنّي عليــك جُفُــونُ
دفنتُ بكفِّي بَعْضَ نفسِي فأصبحت وللــنَّفسِ منهَــا دافِــنٌ ودَفِــينُ

وأعرابي آخر يرثي ابنه

مات ابن الأعرابي فاشتد حزنه عليه، وكان الأعرابي يُكنَّى به فقيل له: لو صبرت لكان عظم ثوابك، فقال:

بأبي وأُمّــي مَــن عَبَــأتُ حَنُوطَــهُ بِيــدي وَوَدَّعَــني بِمســاءِ شَــبابِه
كَيـفَ السُـلُوُّ وكيـفَ صـبري بَعـدَهُ وإذا دُعيــتُ فإنَّمــا أُكــنَّى بــهِ

الأم الثكلى

قيل لأعرابية مات ولدها: ما أحسن عزائك؟ قالت: إنَّ فقدي إياه أمتني فقد كلِّ سواه، وإن مصيبتي به هونت عليَّ المصائب بعده، ثم أنشدت تقول:

كُنـــــتَ السَّـــــوَادَ لِنَـــــاظِرِي فَعَمـــــــيَ عَلَيْـــــكَ النَّـــــاظِرُ
مَـــــنْ شَـــــاءَ بَعْـــــدَكَ فَلْيَمُـــــتْ فَعَلَيْـــــكَ كَنـــــتُ أُحَـــــاذِرُ
لَيْـــــتَ المَنَـــــازِلَ وَالـــــدِّيَا رَ حَفَـــــائِرٌ وَمَقَـــــابِرُ
إِنِّي وَغَـــــيرِي لَا مَحَـــــا لَـــــةَ حَيـــــثُ صِـــــرْتُ لصَـــــائِرُ

مع الحكماء

كاتب ونديم

فاخر كاتب نديمًا فقال: أنا للجد وأنت للهزل، أنا للحرب وأنت للسلم، أنا للشدة وأنت للذة، فقال له نديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة، أنا للحضرة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وتحتشم وأنا مؤانس، تذوب لراحتي وتشقى لما فيه سعادتي، وأنا شريك وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين.

مُعلِّم المُعلِّم

قال عمر بن عتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما أحببت والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تُمِلُّهم منه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه، روِّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من عِلم إلى علم حتى يُحكموه؛ فإن ازدحام الكلام في القلب مشغل للفهم، وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة السفهاء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك.

معافًى ومبتلى

مرض عمر بن العلاء فدخل عليه رجل من أصحابه فقال له: أريد أن أساهرك الليلة قال له: أنت معافى وأنا مبتلى، فالعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا يدعني أن أنام، وأسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر.

الراهب

قال عمر البناني: مررت براهب في مقبرة وفي كفه اليمنى حصى أبيض وفي اليسرى حصى أسود، فقلت: يا راهب، ماذا تصنع هاهنا؟ فقال: إذا فقدت قلبي أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها، قال: وما هذه الحصى التي في كفك؟ قال: أما الحصى الأبيض فإذا عملت حسنة ألقيت واحدة منها في الأسود، وإذا عملت سيئة ألقيت من هذا الأسود واحدة في الأبيض، فإذا كان الليل نظرت، فإن زادت الحسنات على السيئات أفطرت وقمت إلى وردي، وإن زادت السيئات على الحسنات لم آكل طعامًا ولم أشرب شرابًا في تلك الليلة، هذه هي حالتي والسلام.

الزاهد

قال مُحَمَّد بن رافع: أقبلت من بلاد الشام، فبينما أنا في بعض الطريق رأيت فتى عليه جبة من صوف وبيده ركوة فقلت: أين تريد؟ قال: لا أدري، قلت: من أين جئت؟ قال: لا أدري، فظننته موسوسًا، فقلت: مَن خلفك؟ فاصفر لونه حتى خُيِّل كفه قد صُبِغ بالزعفران، ثم قال: حلَّفني من لا يغيب عنه مثقال ذرة مما في الأرض والسماء، فقلت: رحمك الله، أنا من إخوانك، وممن يأنس إلى أمثالك فلا تقبض مني، فقال: إني والله أود لو جاز لي نزل القفار حتى أنفرد في وادٍ سحيق صعب المنال أو في غابة لعلِّي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها.

فقلت: وما جنت عليك الدنيا حتى استحقَّت منك هذا البغض؟ فقال: جناياتها العمى عن جناياتها، فقلت: هل من دواء تُعالَج به من هذا العمى؟ فقال: ما أراك على هذا العلاج، فاستعمل الدواء أصبره.

فقلت: صف دواء لطيفًا، قال: فما دوائك؟ قلت: حِبْ الدنيا، فتبسم وقال: أي داء أعظم من هذا، ولكن أشرب السموم الطرية والمكاره الصعبة، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم الوحشة التي لا أنس فيها والفرقة التي لا اجتماع معها.

قلت: ثم ماذا؟ قال: السلوى عما تريد والصبر عما تحب، فإن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر واحذر الغش؛ فإنه كقطع الليل المظلم، قلت له: دلني على عمل يقربني إلى الله عز وجل، فقال: يا أخي، قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أفضل من البر والإحسان، ثم غاب عني ولم أرَه.

نعم الصديق

يُحكى أن رجلًا أراد صحبة إنسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده:

كَــرِيمٌ يُمِيــتُ السِــرَّ حَــتَّ كَأَنَّــهُ ... إذا اسـتَخْبَروهُ عَـن حَـديثِك جاهِلُـه

وَيُبــدِي لَكُــم حُبًّــا شَــدِيدًا وَهَيبَــةً ... وَلَلنَّــاسِ أَشْــغَالٌ وَحُبُّــكَ شَــاغِلُه

قال مثل هذا ينبغي أن تناط بمحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب.

ذل المعصية وعز الطاعة

قال أبو علي الدقاق: ظهرت علة ليعقوب بن الليث أعيت الأطباء فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهيل بن عبد الله، لو دعا لك لعل الله سبحانه يستجيب له، فاستحضره وقال له: ادعُ الله سبحانه وتعالى لي، فقال سهيل: كيف يستجيب الله دعائي فيك وفي حبسك مظلوم؟ فأطلق كل من كان في حبسه، فقال سهيل عندئذ: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة، وخرج عنه فعوفي بعد مدة، واستدعى سهيل وعرض عليه مالًا فأبى أخذه.

الراهب وحب الدنيا

قال عبد الواحد بن زيد: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين، فناديته: يا راهب، فلم يجبني، فناديته ثانية فلم يجبني، فناديته ثالثة فأشرف عليَّ وقال: يا هذا، ما أنا براهب، إنما الراهب من رهب الله عز وجل في سمائه وعظمه في كبريائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته وفكر في حسابه وعقابه، فنهاره صائم وليله قائم، قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار، فذلك هو الراهب، أما أنا فكلب عقور، حبست نفسي بهذه الصومعة لأبعد عن الناس لئلا أعقرهم بلساني، فقلت: يا راهب، ما الذي قطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه؟ فقال: يا أخي، لم يقطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل الذنوب والمعاصي، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه وأقبل على ما يُقربه من ربه.

عبد الله بن طاهر والرجل

وقف رجل لعبد الله بن طاهر في طريقه فناشده أن يقف له حتى ينشده ثلاثة أبيات، فوقف وقال له: قل فأنشد:

إذا قيـــــلَ أيُّ فَـــــتًى تَعلَمـــــونَ ... أَهَـــــشَّ إلى الضَـــــربِ بالـــــذابِلِ

وَأَضْـــرَبَ للقِـــرنِ يَـــومَ الـــوغَى ... وَأَطعَـــــمَ في الـــــزَمَنِ الماحِـــــلِ

أَشـــــارَت إِلَيـــــكَ أَكُـــــفُّ الأنامِ ... إشـــــارَةَ غَرقَـــــى إلى ســـــاحِلِ

فأمر له بخمسين ألف درهم وانصرف.

سحنون والخصال الأربع

قال أحد الصالحين: رأيت سحنون بالطواف وهو يتمائل، فقبضت على

يده وقلت: يا شيخ، بحق موقفك بين يديه، ألا أخبرتني بالأمر الذي أوصلك إليه؟ فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشيًّا عليه، فلما أفاق أنشد:

وَمُكْتَئِــــبٌ لَحَ السَّـــقَامُ بِجِســـمِهِ كَــذَا قَلبُــهُ بَــينَ القُلــوبِ سَــقِيمُ

يَحِــقُّ لَــهُ لَــوْ مَــاتَ خَوْفًــا وَلَوْعَــةً فَمَوْقِفُــهُ يَــوْمَ الحِسَــابِ عَظِــيمُ

ثم قال: يا أخي، أخذت نفسي بأربع خصال أحكمتها، فأما الخصلة الأولى أني أمتُّ مني ما كان حيًّا وهو هوى النفس، وأحييت مني ما كان ميتًا وهو القلب.

وأما الثانية: فإني أحضرت ما كان غائبًا عني وهو حظي من دار الآخرة، وغيبت عني ما كان عندي حاضرًا وهو نصيبي من الدنيا.

وأما الثالثة: فإني أبقيت ما كان فانيًا عندي وهو النفي وأفنيت ما كان باقيًا عندي وهو الهوى.

وأما الرابعة: فإني آمنت بالأمر الذي منه تستوحشون وفررت من الأمر الذي إليه تشتكون، ثم ولَّى عني يقول:

رُوحِــي إِلَيــكَ بِكُلِّهَــا قَــدْ أَقْبَلَــتْ لَــوْ كَــانَ فِيــكَ هَلاكُهَــا مَــا أَقْلَعَــتْ

تَبْكِـــي عَلَيْـــكَ تَخَوُّفًـــا وَتَلَهُّفًـــا حَــتَّى يُقَــالَ مِــنَ الْبُكَــاءِ تَقَطَّعَــتْ

زاهد في الطريق

قال بعضهم رأيت في طريق مكة فتى يتبختر في مشيته كأنه صحن داره، فقلت له: ما هذه المشية يا فتى؟ فقال: هذه مشية الفتيان خُدَّام الرحمن، ثم أنشد:

أَتِيـــهُ بِـــكَ افْتِخَـــارًا غَيْـــرَ أَنِّي أَذُوبُ مِــنَ المَهَابَــةِ عِنْــدَ ذِكْــرِك

وَلَــوْ أَنِّي قَــدَرْتُ لَمِــتُّ شَــوْقًا وَإِجْــلَالًا لأَجْــلِ عَظِــيمِ قَــدْرِك

فقلت له: وأين زادك وراحلتك؟ فنظر إليَّ منكرًا قولي ثم قال: أرأيت عبدًا ضعيفًا قاصدًا مولى كريمًا حمل إلى بيته طعامًا وشرابًا؟ فلو فعل ذلك لأمر الخُدام بطرده عن بابه، إن المولى جلَّت قدرته لما دعاني إلى القصد إليه أورثني حسن التوكل عليه، ثم غاب عني وما رأيته بعد.

خير الدواء

مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أحد شوارع البصرة، فإذا هو بحلة كبيرة والناس حولها يمدون إليها الأعناق ويشخصون إليها الأحداق، فمضى إليهم ينظر ما سبب اجتماعهم، فإذا فيهم شاب حسن الشباب نقي الثياب عليه هيئة الوقار وسكينة الأخيار وهو جالس على كرسي والناس يأتون بقوارير من الماء وهو يداوي المرضى ويصف لكل واحد منهم ما يوافقه من أنواع الدواء، فتقدَّم إليه وقال: عليك السلام أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته، هل عندك شيء من أدوية الذنوب فقد أعيا الناس دواؤها؟ فرفع الطبيب رأسه بعدما رد السلام وقال: أتعرف أدوية الذنوب بارك الله فيك؟ قال: نعم، قال: صف وبالله التوفيق، قال: تذهب إلى بستان الإيمان فتأخذ من «عروق» حسن النية ومن «حَبِّ» الندامة و«ورق» التدبير و«بذر» الورع و«ثمر» العفة و«أغصان» اليقين و«لب» الإخلاص و«قشور» الاجتهاد و«عروق» التوكل و«أكمام» الاعتبار و«ترياق» التواضع، تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر وافركها بأنامل من التصديق وكف من التوفيق، ثم نضعها في «طبق» التحقيق، ثم نغسلها بماء الدموع، ونضعها في «قدر» الرجاء، ثم توقد عليها بنار الشوق حتى ترغي زبد الحكمة، ثم نفرغها في «صحاف» الرضا، وتروَّح عليها بمراوح الاستغفار ينعقد لك من ذلك «شَربة» جيدة تشربها في مكان لا يراك فيه أحد

غير الله، فإن ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا يبقى عليك ذنب، ثم أنشأ الطبيب يقول:

يَا خَاطِــبَ الْحَــوْرَاءِ فِي خِــدْرِهَا   شَمِّــرْ فَتَقْــوَى اللهِ مِــن مَهْرِهَــا

وَكُــن مُجِــدًّا وَلَا تَكُــن وَانِيًــا   وَجَاهِــدِ الــنَّفْسَ عَلَــى سَــيْرِهَا

ثم شهق شهقة فارق بها الحياة الدنيا: فقال والله إنك لطبيب الدنيا وطبيب الآخرة، ثم أمر بتجهيزه ودفنه.

داء ودواء

قال أبو القاسم الجنيد: أُرِّقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة، فأردت أن أنام فلم أرقد، فقعدت فلم أطق القعود، ففتحت الباب وخرجت، فإذا برجل مغطى بعباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه وقال: يا أبا القاسم، إلى الساعة؟ فقلت: قمت يا سيدي من غير موعد، فقال: بلى، سألت مُحرِّك القلوب أن يحرك إليَّ قلبك، قلت: قد فعل، فما حاجتك؟ قال: متى يصير داء النفس دواءها؟ قلت: إذا خالفت النفس هواها صار دواؤها، فأقبل على نفسه فقال لها: اسمعي، لقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات، فأبيتِ إلا أن تسمعيه من الجنيد، فقد سمعت، وانصرف عني ولم أعرفه ولم أقف عليه.

سعدون المجنون

قال مالك بن دينار: دخلت جبَّانة بالبصرة، فإذا أنا بسعدون المجنون فقلت له: كيف حالك؟ قال: يا مالك، كيف يكون حال من أصبح وأمسى يريد سفرًا بعيدًا بلا أهبة ولا زاد، ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد؟ ثم بكى بكاء شديدًا، فقلت: ما يُبكيك؟ فقال: والله ما بكيت حرصًا على الدنيا

ولا جزعًا من الموت والبلاء، ولكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي، أبكاني والله قلة الزاد وبُعد المفازة والعقبة الكئود، ولا أدري بعد ذلك أأصير إلى الجنة أم إلى النار؟

فسمعت منه كلام حكمة فقلت له: إن الناس يزعمون أنك مجنون، فقال: وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا؟ زعم الناس أني مجنون وما بي جُنة، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي وعظمي، فأنا والله من حبِّه هائم مشغوف، فقلت: يا سعدون لِمَ لا تجلس الناس وتخالطهم؟ فأنشد يقول:

كُـــنْ عَـــن النَّـــاسِ جَانِبًـــا وَارْضَ بِاللهِ صَـــاحِبَا

قَلِّـــبْ النَّـــاسَ كَيْـــفَ شِـــئتَ تَجِـــدْهُمْ عَقَـــارِبَا

خذوا الحكمة

قال ذو النون المصري: وُصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل «أكام» فقصدته، فسمعته يقول بصوت حزين وبكاء وأنين:

يَا ذَا الـذِي أَنَـسَ الفُـؤَادُ بِـذِكرِهِ أَنـتَ الـذِي مَـا سِـوَاكَ أُرِيـد

تَفْـنَى اللَّيَـالِي وَالزَّمَـانُ بِأَسْـرِهِ وَهَـوَاكَ غُصـنٌ فِي الفُـؤادِ وَحِيـدُ

قال ذو النون: فتبعت الصوت، فإذا بفتى حسن الوجه جميل الصوت، وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها، نحيل قد اصفر واحترق، وهو يشبه الولد الحيران، فسلَّمت عليه فرد عليَّ السلام وبقي شاخصًا يقول:

أَعْمَيْـتَ عَيْـنَيَّ فِي الـدُّنْيَا وَزِينَتِهَـا فَأَنْـتَ وَالـرُّوحُ مِـنِّي غَيْـرُ مُفْـتَرِقِ

إِذَا ذَكَرْتُـــكَ وَافَى مُقْلَـــتِي أَرَقٌ مِـنْ أَوَّلِ اللَّيْـلِ حَـتَّى مَطْلَـعَ الْفَلَـقِ

وَمَـا تَطَـايَرَتْ الأَحْـدَاقُ عَـنْ سِـنَةٍ إلا رَأَيْتُـكَ بَـيْنَ الجُفْـنِ وَالحَـدَقِ

قال: يا ذا النون، ما حداك إلى طلب المجانين؟ قلت: أومجنون أنت؟ قال: نعم، وماذا تريد؟ قال: مسألة، قال: سَلْ، قلت: أخبرني ما الذي حبَّب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين وهيَّمك في الأدوية والجبال؟ فقال: حبي له هيمني وشوقي إليه هيجني، قال: يا ذا النون، هل أعجبك كلام المجانين؟ قلت: أي والله أشجاني، ثم غاب عني فلم أدرِ إلى أين ذهب.

الزاهدة

قال ذو النون المصري: رأيت امرأة تسبح على طريق النيل وعليها مدرعة من شعر ومقنعة من صوف، فقلت لها: يرحمك الله، ليس السباحة للنساء، فقالت: إليك يا مغرور، ألست تقرأ كتاب الله؟ قلت: بلى، قالت: اقرأ.

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا. [1]

فقلت: إنها مُلمَّة بالعلم، فقلت لها: وبأي شيء عرفت الله؟ قالت: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله، فقلت لها: وما اسم الله؟ قالت: إن اسم الله هو الأعظم.

المسافر الحزين

قال عبد الواحد بن زيد: رأيت راهبًا وعليه مدرعة شعر سوداء، فقلت: ما الذي حملك لبس السواد؟ قال: هو لباس المحزونين وأنا من أكبرهم، فقلت له: ومن أي شيء محزون؟ قال: إني أُصبت في نفسي، وذلك أني مت لها في معركة الذنوب، فأنا حزين عليها، ثم أسبل دمعة، قلت: وما الذي أبكاك الآن؟ قال: ذكرت ما مضى من أجلي ولم يحسن فيه عملي، فبكائي لقلة الزاد وبُعد المفازة وعقبة لا بدَّ لي من صعودها، ثم لا أدري أين تهبط بي على الجنة أم إلى النار؟ ثم

أنشد:

يَا رَاكِبًـا يَطْـوِي مَسَـافَةَ عُمْـرِهِ بِاللهِ هَـلْ تَـدْرِي مَكَـانَ نِزُولِكَـا

شَمِّرْ وَقُم مِـنْ قَبْلِ حَطِّكَ فِي الثَّرَى فِي حُفْـرَةٍ تُبْلَـى بطُـولِ حُلُولِكَـا

ثم أستأذنني وذهب لأنه صار وقت الصلاة فرجعت من حيث أتيت.

السيدة العجوز

قال صالح: رأيت في محراب داود عجوزًا عليها مدرعة شعر، وقد كُفَّ بصرها وهي تصلي وتبكي، فتركت صلاتي ووقفت أنظر إليها، فلما فرغت من صلاتها رفعت وجهها إلى السماء وأنشدت:

أَنـتَ سُـؤْلِي وَعِصْـمَتِي فِي حَيَـاتِي أَنـتَ ذُخـرِي وَعُـدَّتِي فِي مَمَـاتِي

يَا عَلِيمًـا بِمَـا أَكِـنُّ وَأُخْفِـي وَبِمَـا فِي بَـوَاطِنِ الْخَطَـرَاتِ

لَـيْسَ لِي مَالِـكٌ سِـوَاكَ فَـأَرْجُو لِـدَفْعِ الْعَظَـائِمِ الْمُوبِقَـاتِ

فسلمت عليها وقلت لها: ما الذي أوجب ذهاب عينيك؟ قالت: بكائي على ما فرط مني في مخالفتي الله ومعصيته، وما كان من تقصيري عن ذكره في خدمته، فإن عافاني سيدي عوضني في الآخرة خيرًا منها، وإن لم يعفُ عني فما حاجتي بعين تُحرق في النار؟ فبكيت رحمة لها، فقالت: يا سيدي، هل لك في أن تقرأ عليَّ شيئًا من كتاب مولاي؛ لأنه قد طال شوقي إليه؟ فقرأت لها هذه الآية: وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ[٢] قالت: يا صالح ومن خَدَمَة حق الخدمة؟ ثم صرخت صرخة يتصدع قلب من سمعها وسقطت عليَّ، فأردت إنهاضها فإذا بها قد فارقت دنياها.

الطريق إلى الله

قال السري السقطي: قعدت يومًا أتكلم بجامع المدينة، فوقف عليَّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه، فوعظت فسمعني أقول في وعظي: «عجبًا لضعيف كيف يعصي قويًّا؟!» فتغير لونه وانصرف، فلما كان الغد جلست في مجلسي، وإذا به قد أقبل فسلَّم وصلَّى ركعتين وقال: يا سري؟ سمعتك بالأمس تقول: «عجبًا لضعيف كيف يعصي قويًّا» فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من المولى ولا أضعف من العبد وهو يعصاه، فنهض وخرج، ثم أقبل في الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد وقال: يا سري، كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن أردت الله عز وجل فاترك كل شيء سواه تصل إليه، ولا تسكن إلا المساجد والخرائب والمقابر، فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب المسالك والطرق، وولَّى خارجًا.

فلما كان بعد أيام أقبل إليَّ غلمان كثيرة فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه، إلا أن رجلًا جاء بصفة «كذا وكذا» فجرى معه «كذا وكذا» ولا أعلم حاله، فقالوا: بالله عليك، متى عرفت حاله عرفنا ودلنا على داره، فبقيت سنة لا أعرف خبرًا، فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء جالس في البيت، وإذا بطارق فأذنت له بالدخول، فإذا أنا بالفتى وعليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عنقه وبيده زنبيل فيه نوى، فقبَّل بين عيني وقال: يا سري، أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رِقِّ الدنيا، فنظرت فأومأت إلى صاحبي أن أمضي إلى أهله فأخبرهم، فمضى، فإذا بزوجته قد أقبلت ومعها ولده وغلمانه، فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حُلي وحُلل وقالت له: يا سيدي، أرملتني وأنت حي، وأيتمت ولدك وأنت حي.

قال السري: فنظر إليَّ وقال: يا سري: ما هذا وفاء؟ ثم أقبل عليهما وقال: والله إنكما لثمرة فؤادي وحَبَّة قلبي، وإن هذا ولدي وأعز الخلق عليَّ، إلا أن هذا السري أخبرني أن من أراد رضا الله انقطع عما سواه، ثم نزع ما على الصبي وأراد أخذ ما معه فقال المرأة، والله لا أقدر أن أرى ولدي في هذه الحالة، وانتزعته منه، فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: قد ضيَّعتم عليَّ ليلتي، بيني وبينكم الله، وولى خارجًا، فضج أهل الدار بالبكاء فقالت المرأة: إن عاد يا سري أو سمعت عنه خبرًا فأعلمني إن شاء الله.

فلما كان بعد أيام أتتني عجوز، وقالت: يا سري، في جهة كذا غلام يسألك الحضور، فمضيت، فإذا أنا به مطروح على الأرض وتحت رأسه لبنة، فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: يا سري، ترى يغفر لي الله تلك الجنايات؟ فقلت: نعم، قال: أيغفر للذين مثلي؟ قلت: نعم، قال: أنا غريق، قلت: هو ملجأ الغرقى، قال: يا سري يوجد معي دراهم من لقط النوى، إذا أنا مت فاشترِ أنت ما أحتاج إليه وكَفِّني ولا تُعلم أهلي لئلا يُغيِّروا كفني بحرام، فجلست عنه قليلًا، ففتح عينيه، وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم مات.

فأخذت الدراهم واشتريت مما يحتاج إليه وسرت نحوه، فإذا الناس يدعون فقلت: ما الخبر؟ فقيل: مات ولي من أولياء الله، نريد أن نصلي عليه، فجئت وغسَّلته وصلينا عليه ودفناه، فلما كان بعد مدة وفد أهله يسألون خبره، فأخبرتهم بموته، ورأيت امرأته فأخبرتها بحاله، فسألتني أن أريها قبره، فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه، فقالت: لا والله، فأريتها القبر وبكت وأمرت بإحضار شاهدين فحضرا فأعتقت جواريها وأوقفت عقارها وتصدَّقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت.

أصحاب القبور

قال صدفة بن مرداس البكري: نظرت إلى ثلاثة قبور على مشرف من الأرض مما يلي بلاد طرابلس، وعلى كل واحد منها شيء مكتوب، وإذا هي قبور مُسنَّمة على قدر واحد مصطفة بعضها إلى جنب بعض ليس عندها غيرها، فعجبت منها ونزلت إلى القرية القريبة منها، فقلت لشيخ جلست إليه: لقد رأيت في قريتكم عجبًا، قال: وما رأيت؟ فقصصت عليه قصة القبور، قال: فحديثهم أعجب مما رأيت، فقلت: حدثني بأمره، قال: كانوا ثلاثة إخوة، أحدهم أميرًا كان يصحب السلطان ويأمر على المدائن والجيوش، والثاني تاجرًا موسرًا مطاعًا في ناحيته، والثالث زاهدًا قد تخلى بنفسه وتفرد لعبادة ربه، فحضرت المنية أخاهم العابد، فاجتمع عند أخواه، وكان الذي يصحب السلطان قد وُلِّي بلادنا هنا، وكان قد أمره عليها عبد الملك بن مروان وكان في إمرته ظالمًا غشومًا، فلما حضرا عند أخيهما قالا له: ألا توصي؟ قال: والله ما لي مال أوصي به، ولا لي على أحد دين فأوصي به، ولا أخلف من الدنيا شيئًا فأسلبه، فقال له أخوه الأمير: يا أخي، قل ما بدا لك وما تشتهيه أن يُفعل، فهذا مالي بين يديك فأوصِ منه بما أحببت واعهد إليَّ بما شئت لأفعله، فسكت عنه ولم يجبه، فقال أخوه التاجر: يا أخي، قد عرفت مكسبي وكثرة مالي، فلعل في قلبك حاجة من الخير لم تبلغها إلا بالاتفاق، فهذا مالي بين يديك فاحكم فيه بما أحببت لأنفذه لك، فأقبل عليهما وقال: لا حاجة لي في مالكما، ولكن أعهد إليكما عهدًا فلا يخالفني فيه أحد، قالا: اعهد، قال: إذا مت فغسِّلاني وادفناني على مشرف من الأرض واكتبا على قبري هذا الشعر:

وَكَيْـفَ يَلِـذُّ الْعَـيْشَ مَـنْ هُـوَ عَـالِمٌ ... بِأَنَّ إِلَـــهَ الْخَلْـــقِ لَا بُـــدَّ سَـــائِلُه

فَيَأْخُـــذُ مِنْـــه ظُلْمَـــهُ لِعِبَـــادِهِ ... وَيَجْزِيــهِ بِالْخَـيْرِ الـذِي هُـوَ فَاعِلُــه

ثم قال: فإذا فعلتما ذلك فأتياني كل يوم مرة على ثلاثة أيام متوالية لعلكما تتعظان بي.

فلما مات فعلا ذلك، فكان أخوه الأمير يركب كل يوم في جنده حتى يقف على القبر فيقرأ ما تيسر ويبكي، فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع جنده فنزل وبكى، ولما أراد الانصراف سمع أَنَّةً من داخل القبر كاد يتصدع لها قلبه، فقام مذعورًا فزعًا، فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال: يا أخي، ما الذي سمعته من داخل قبرك؟ فأجاب: أُخبرت أنك رأيت مظلومًا فلم تنصره ولكن استعد لملاقاتي، قال فأصبح مهمومًا، ودعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أن أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري، وإني أشهدكم أني لا أقيم بين أظهركم، وترك الإمارة ولزم العبادة، فكتب أصحاب عبد الملك بن مروان إليه في ذلك فكتب أن خلُّوه وما أراد، فصار يأوي الجبال إلى أن حضرته الوفاة في الجبل وهو مع الرُّعاة، فبلغ ذلك أخاه، فأتاه وقال: يا أخي، ألا توصي؟ فقال: مالي من مال فأوصي به، ولكن أعهد إليك عهدًا: إذا أنا مت وجهزتني فادفني بجانب أخي واكتب على قبري هذين البيتين:

وَكَيفَ يَلِذُّ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا ... بِأَنَّ الْمَنَايَا بغْتَةً سَتُعَاجِلُه

فَتَسْلِبُهُ مُلْكًا عَظِيمًا وَنِعْمَةً ... وَتُسْكِنُهُ الْقَبْرَ الذِي هُوَ أَهْلُه

قال: ثم توافيني ثلاثة أيام بعد موتي فادعُ لي لعل الله يرحمني.

فلما مات فعل به أخوه ذلك، فلما كان اليوم الثالث من إتيانه جاء على حسب عادته وبكى عند قبره، فلما أراد الانصراف سمع رجَّةً في القبر كادت تذهب بعقله، فرجع مقلقلًا، فلما كان في الليل إذا بأخيه قد أتاه في منامه، قال: فحينما رأيته وثبت إليه وقلت: يا أخي، أأتيتنا زائرًا؟ قال: هيهات يا

أخي، بعُد المزار فلا مزار وقد اطمأنت بنا الدار، فقلت: كيف يا أخي؟ قال: ذاك مع أئمة الأبرار، قلت: وما أمرنا عندكم؟ قال: من قدَّم شيئًا من الدنيا وجده، فاغتنم وجودك قبل فقدك.

قال: فأصبح أخوه معتزلًا من الدنيا متخلفًا عنها، ففرَّق أمواله وقسَّم أرزاقه وأقبل على طاعة الله عز وجل، ونشأ له ابنٌ حسن الشباب والهيئة، فاشتغل بالتجارة، فحضرت أباه الوفاة فقال له: يا أبتِ، ألا توصي؟ قال: يا بني ما بقي لي مال لأوصي به، ولكن إذا أنا مت فادفنني إلى جنب عمومتك واكتب على قبري هذين البيتين:

وَكَيْـفَ يَلِـذُّ الْعَـيْشَ مَـنْ هُـو صَـائِرُ   إِلَى جَـدثٍ تُبْلِـي الشَّـبَابَ مَنَازِلُـه

وَيَذْهَبُ حُسْنُ الْوَجْهِ مِن بَعْدِ مَوْتِهِ   سَـرِيعًا وَيَبْلَـى جِسْـمُهُ وقائلـهْ

وإذا فعلت ذلك فقاعدني بنفسك ثلاثًا وادعُ لي، ففعل الفتى، فلما كان في اليوم الثالث سمع من القبر صوتًا اقشعر له جلده وتغيَّر لونه ورجع مصفرًّا إلى أهله، فلما أتاه الليل أتاه أبوه في منامه وقال له: يا بني، أنت عندنا عن قريب، والأمر ناجز، والموت أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك، وحوِّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغترَّ به قبلك الغافلون من طول آمالهم فقصَّروا عن أمر ميعادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير ينقذهم من شر ما يلقاه المغبونون يوم الحشر، فبادر ثم بادر ثم بادر.

فدخلت على الفتى ثاني يوم فقصها عليَّ وقال: ما أرى الأمر إلا وقد قرب، فجعل يوزع ماله ويتصدق ويقضي ديونه ويستحل من خلطائه ومعامليه

ويرتد عنهم، كهيئة رجل قد أُنُذر بشيء فهو يتوقعه ويقول: قال أبي: «بادر ثم بادر ثم بادر» فهي ثلاث ساعات، وقد مضت أو ثلاثة أيام وأنَّ لي بها وما أراني أدركها، أو ثلاث سنين وهو أكثر ذلك، فلم يزل يقسم أمواله ويتصدق حتى إذا كان في اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودَّعهم ثم أغمض عينيه ومات.

(١) النساء: ٩٧.

(٢) الأنعام: ٩١.

ادر منوعة

الأعرابي والبخلاء

وقف أعرابي بقوم فقال: يا قوم، أشكوا إليكم زمنًا كلح بوجهه وأناخ عليَّ بكلكله بعد نعمة من المال وثروة من المال وغبطة من الحال، اعتورني بنبال عن قسي نوائبه، فما ترك لي شيئًا ارتجي به نفعًا، فهل فيكم من معين على صرفه أو مساعد على حنفه؟ فردوا عليه ولم ينيلوه شيئًا، فولى عنهم وهو يقول:

قَد ضاعَ مَنْ يَأْمَل مِنْ أَمْثَالِكُمْ جُودًا   وَلَيْسَ الجُودُ مِنْ فِعَالِكُمْ

لَا بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِي مَالِكُمْ   وَلَا أَزَاحَ السُّوءَ عَنْ عِيَالِكُمْ

فَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ صَلاح حَالِكُمْ

أشعب مطربًا

قال الأصمعي قدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم، وأتاه أشعب بينهم، فسلموا عليه وحادثوه ساعة وخرجوا وبقي أشعب فقال له جرير: أراك قبيحًا لئيمًا، ففيم قعودك وقد خرج الناس؟ فقال له: أصلحك الله، إنه لم يدخل عليك اليوم أحد أنفع مني، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني آخذ رقيق شِعرك فأزينه بحسن صوتي، فقال له جرير: أسمعني، فاندفع جرير يغني:

يَا أُمَّ نَاجِيَةَ السَّلامُ عَلَيْكُمُ   قَبلَ الرَواحِ وَقَبلَ لَومِ العُزَّلِ

لَو كُنتُ أَعلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهدِكُم   يَومُ الرَحيلِ فَعلتُ مَا لَم أَفعَلِ

قال: فاستخف جرير الطرب لغنائه بشعره فزحف إليه وأعنقه وقبله بين

عينه وسأله عن حاجته فقضاها له.

الضَّراير

تزوَّج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة وكانت الجديدة على باب القديمة فتقول:

وَمَا تَسْتوي الرِّجلان رِجْلٌ صحيحة وَرِجْـلٌ رَمـى فيهـا الزَّمـانُ فَشـلَّتِ

ثم مرت بعد أيام فقالت:

وَما يَستَوِي الثَّوْبان ثَوْبٌ به البِلَى وَثَـوْبٌ بأيْـدِي البـائعين جَدِيـدُ

فخرجت إليها القديمة فقالت:

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الْهَوَى مَـا الحُـبُّ إلا لِلحَبيـبِ الأوَّلِ

كَـم مَنـزِلٍ في الأرضِ يألَفُـهُ الفَـتَى وَحَنينُـهُ أَبَـدًا لأوَّلِ مَنـزِلِ

السائل بمسجد الكوفة

قال أبو زيد: سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعطَ شيئًا، فذهب الرجل، وفي العشاء عاد، وبعد أن قضيت الصلاة توجَّه للقبلة، وسمعوه يدعو الله: «اللهم إني أسألك صبرًا جميلًا وفرجًا قريبًا وبصرًا بالهدى وقوَّةً فيما تُحِبُّ وترضى، اللهم إن كان رزقي الذي كتبت لي أجريته على أيدي هؤلاء القوم فإني أسألك أن تكفُلنيه» فتبادروا إليه يعطونه فقال: والله لا أخذت الليلة شيئًا منكم، مالي سوف يأتيني، ثم خرج وهو يقول:

مَـا نَالَ بَاذِلُ وَجْهَـهُ لسُـؤالِهِ عِوَضًـا وَلَـوْ نَالَ الغِـنَى بِسُـؤَالِ

وَإِذَا السُّـؤَالُ مَـعَ السُّـؤَالِ وَزَنْتَـهُ رَجَـحَ السُّـؤالُ كَفَّـةَ كُـلِّ نَـوَالِ

الحُسَّاد الثلاثة

حُكي أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا، فتساءلوا عما بلغوه من الحسد، قال أولهم: ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرًا قط لئلَّا أرى أثر ذلك عليه، وقال الثاني: أنت رجل صالح، أمَّا أنا فما اشتهيت أن يُفعل بأحد خيرًا قط لئلا تشير الأصابع بالشكر إليه، وقال الثالث: ما في الأرض خير منكما، لكني ما اشتهيت أن يفعل بي خيرًا أحدٌ قط، فقالوا: ولِمَ؟ قال: لأني أحسد نفسي على ذلك، فقالا له: أنت ألأمنا جسدًا وأكثرنا حسدًا.

ما خاب من استشار

قال الأسلي: ركبني دَيْن أثقل كاهلي، وطالبني به مستحقوه، واشتدت حاجتي، فضاقت بي الأرض ولم أهتدِ إلى ما أصنع، فشاورت من أثق به من ذوي المودة والرأي، فأشار عليَّ بقصد المهلَّب بن أبي حفرة بالعراق، فقلت له: يمنعني بُعد المسافة، ثم أني عدلت عن ذلك المشير إلى استشارة غيره، فلا والله ما زادني عمَّا ذكره لي الصديق الأول، فرأيت أن قبول المشورة خيرٌ من مخالفتها، فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق، فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له: أصلح الله الأمير، إني قطعت إليك الهناء وضربت بأكباد الإبل من يثرب، فقد أشار عليَّ ذوو الحجى والرأي بقصدك لقضاء حاجتي، فقال: هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة وعشيرة؟ فقلت: لا، ولكني رأيتك أهلًا لحاجتي، فإن قمت بها فأنت أهل لذلك، وإن يحل دونها حائل لم أذمهم يومك ولم أيئس عندك، فقال المهلب لحاجبه: اذهب وادفع إليه ما في خزانة مالنا، فأخذني معه فوجد ثمانين ألف درهم فدفعها إليَّ، فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحًا وسرورًا وأعادني إليه مسرعًا فقال: هل وصلك ما يقوم بسد حاجتك؟ فقلت: نعم أيها الأمير وبزيادة، فقال: الحمد لله على نجاح

سعيك، واجتنائك جني مشورتك، وتصديق ظن من أشار عليك بقصدنا.

قال الأسلمي فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه:

يا مَن عَلَى الجُودِ صَاغَ الله راحتهُ ... فلَيسَ يحسِنُ غير البذلِ والجُودِ

عَمَّت عطاياك مَن بالشرقِ قَاطبةً ... وأنت والجُود منحوتانِ مِن عُودِ

مَن استشَارَ فبَابُ النجَح مُنفَتحٌ ... لَديهِ مَا ابتغَاه غَيرُ مَسدودِ

ثم عدت إلى المدينة ووفيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشيرين عليَّ، وعاهدت الله تعالى أني لا أترك الاستشارة في جميع أمري ما عشت.

ليتهم علموني كيف أبتسم

قال أبو العباس بن حماه الكاتب: قصدت أبا الجيش خمارويه بن أحمد بمصر ممتدحًا له ببابه زمنًا لا أصل إليه، فرثى لي كل من عرف حالي، وأُرشدتُ إلى كُثير المغني، فسرت إليه وسألته أن يشفع لي فقال: ما جرت العادة أن أكلمه في أحد، ولكن إن قدرت أن تعمل شعرًا أقدمه أمام حضرته، فإن سألني عن قائله عرَّفته عن حالك ما يكون فيه عائد صلاح عليك، فعملت شِعرًا على البديهة ودفعه إليه وهو:

كتمتُ حُبَّهُمُ صَونًا وتَكرِمَةً ... فما درى غيرُ إضماري به وهُمُ

هم علَّموني البُكا لا ذُقتُ فقدَهمُ ... يا لَيتهم علَّموني كيف أبتسِمُ

فسرت إلى أبي الجيش وأنشدته إياها، فطرب وقال: لمن هذا الشِّعر؟ فقلت: لأبي العباس، فدعا به وأحسن جائزته.

عين الحسود

قيل لعبد الله: كيف لزمت البدو وتركت قومك؟ قال: وهل بقي في الناس إلا من إذا رأى نعمة بُهت وإذا رأى عثرة شمت، ثم أنشد:

عَـينُ الحَسُـودِ إلَيـكَ الـدَّهْرُ نَاظِـرَةٌ   تُبْـدِي المَسَـاوِئَ وَالإِحِسَـانُ تُخْفِيـه
يَلقَـاكَ بِالبِشـرِ يُبدِيـهِ مُكَـابَرَةً   وَالقَلـبُ مُلتَـئِمٌ فِيـهِ الـذِي فِيـه

الزرقاء ومعاوية

قيل: إن معاوية بن أبي سفيان ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور وامتلأت منه الصدور وأذعن لأمره الجمهور، وعاونه على أمره القدر المقدور، فاستحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى يوم الكريهة من المعروفين، فانهمكوا في القول الصحيح، وآل حديثهم إلى ما كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا: امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة بأصحاب علي تسمعهم كلامًا كالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتَلَ والمدبِر لأقبل والمسالم لحارب والفارُّ لكر والمزلزَل لاستقر، فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها؟ فقالوا: كلنا نحفظه، فقال: فما تُشيرون عليَّ بها، قالوا: نشير بقتلها؛ فإنها أهل لذلك، فقال لهم معاوية: بئسما أشرتم به، أيحسن أن يشتهر عني أنني بعد ما ظفرت وقدرت أقتل امرأة قد وفت لصاحبها؟ إني إذن للئيم، لا والله لا فعلت ذلك.

ثم دعا بكاتبه وكتب كتابًا إلى واليه بالكوفة أن أوفِد عليَّ الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها، ومهِّد لها وطَّاء لينًا ومَركبًا ذلولًا.

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وأقرأها إياه، فقالت: ما أنا بزائغة عن

الطاعة، فحملها في هودج وجعل غشاءه خزًّا مبطنًا، ثم أحسن صحبتها، فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحبًا وأهلًا خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيتِ سيرك؟

قالت: خير مسيرة، قال: هل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: ألست أنت راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفين توقنين نار الحرب وتحضين على القتال؟ قالت: نعم، قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنه قد مات الرأس وكثر الذنُب والدهر ذو عبر، ومن تفكَّر أبصر، والأمر يحدث بعد الأمر، فقال: صدقتِ، فهل تحفظين كلامك؟ قالت: لا والله، قال: لله أبوك، لقد سمعتك تقولين: «أيها الناس، إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكوكب لا يضيء مع القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، من استرشدنا أرشدناه ومن ساءلناه جاوبناه أن الحق كان يطلب ضالة فاطلبوها، يا معاشر المهاجرين والأنصار مكانكم، وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق الباطل؛ فإنه لا يستوي المحق والمبطل، أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا؟ فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا وأنه خِضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدم، والصبر خير الأمور عاقبة، هيا إلى الحرب، هيا يا رجال».

أليس هذا القول قولك وتحريضك؟ قالت: لقد كان ذلك، قال: لقد شاركت عليًّا في كل دم سفكه، فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك، مثلُك من بُشر بخير ويسر جليسه، فقال: أوقد سرَّك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سرني قولك، وإني له لصدِّيقة، فقال معاوية: والله لوفائك له بعد موته أعجب إليَّ من حبِّك له في حياته، فاذكري حوائجك تُقضَى، قالت: يا أمير المؤمنين إني آليت على نفسي لا أسأل أحدًا حاجة، فقال: قد

أشار عليَّ بعض من عرفك بقتلك، قالت: لؤمٌ من المشير، ولو أطعته لشاركته، قال: كلا، بل نعفو عنك ونُحسن إليك ونرعاك، قالت: كرم منك يا أمير المؤمنين، ومثلك من قدر وعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة، قال: فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها إلى وطنها، وكتب على والي الكوفة بالوصاية بها وبعشيرتها.

المنصور والرَّجل

قال الرَّبيع (مولى الخليفة المنصور): ما رأيتَ رجلًا أربط جأشًا وأثبت جِنانًا من رجل سُعِيَ به إلى المنصور أن عنده ودائع وأموالًا لبني أمية فأمرني بإحضاره، فأحضرته إليه، فقال له المنصور: قد رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك، فقال الرجل: أأنت وارث بني أمية؟ قال: لا، قال: أوُصِّي لك في أموالهم ورعاياهم؟ قال: لا، قال: فما مسألتك عما في يدي من ذلك؟

قال: فأطرق المنصور ثم تفكَّر ساعة ورفع رأسه وقال: إن بني أمية ظلموا المسلمين فيه، فاجعله في بيت أموالهم، قال: يا أمير المؤمنين، فتحتاج إلى بيِّنة عادلة أنَّ ما في يدي لبني أمية فما خانوا به ولا ظلموا، فإن بني أمية كانت لهم أموال غير أموال المسلمين، قال: فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال: يا ربيع، ما أرى الشيخ إلَّا قد صدق، وما يجب عليه شيء، وما يسعنا ألا أن نعفو عما قيل عنه، ثم قال: هل لك من حاجة؟ قال: أن تجمع بيني وبين من سعى بي إليك، فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أمية عندي مال ولا سلاح، وإنما أُحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم، فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح وأصلح لما سألتني عنه، فقال المنصور: يا ربيع، اجمع بينه وبين الذي سعى به، فجمع بينهما، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخذ لي خمسمائة دينار وهرب، ولي عليه مسطور شرعي،

فسأل المنصور الرجل فأقرَّ بالمال، قال: فما حملك على السعي كاذبًا؟ قال: أردت قتله ليخلص لي المال، فقال الرجل: قد وهبتها له يا أمير المؤمنين لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك، ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لي، فاستحسن المنصور فعله وأكرمه وأعاده إلى بلده مُكرمًا، وكان المنصور كل وقت يقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ قط ولا أثبت من جِنانه ولا من حُجته، ولا رأيت مثل حِلمه ومروءته.

وعد الأمير

قال مالك بن عمارة اللخمي: كنت أجالس في ظل الكعبة أيام المواسم عبد الملك بن مروان وقبيضة بن ذؤيب وعروة بن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرَّة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه إذا تحدَّثت وحلاوة لفظه إذا حدَّث، فخلوت معه في ليلة فقلت: والله إني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك وإقبالك على جليسك، فقال: إن تعش قليلًا ترَ العيون طامحة إليَّ والأعناق نحوي متطاولة، فإذا صار الأمر إليَّ فلعلك أن تنقل إليَّ ركابك فلأملأنَّ يديك، فلما أفضت إليه الخلافة توجهت إليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلمَّا رآني أَعرَض عني فقلت: لم يعرفني أو عرفني وأظهر نكره، فلما قُضيت الصلاة ودخل لم ألبث أن صرخ الحاجب فقال: أين مالك بن عمارة؟ فقمت، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فمد إليَّ يده وقال: إنك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت، فأما الآن فمرحبًا وأهلًا، كيف كنت بعدي؟ فأخبرته فقال: أتذكر ما قلت لك؟ قال: نعم، فقال: والله ما هو بميراث ادَّعيناه ولا إرثٍ ورثناه، ولكن أخبرك مني بخصال سمت لها نفسي إلى موضع ما

تراه، حيث إنني ما شمتُّ بمصيبة عدوٍّ قط، ولا أعرضت عن محدِّثٍ حتى ينتهي، ولا قصدت كبيرةً من محارم الله متلذذًا بها، فكنت أأمل بهذه أن يرفع الله منزلتي، وقد فعل.

يا غلام، بوِّئه منزلًا في الدار، فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلًا حسنًا، فكنت في ألذ حال وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، ثم دخل عليه في وقت عشائه وغذائه فيرفع منزلتي ويقبل عليَّ ويحادثني ويسألني مرَّة عن العراق ومرَّة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة، فتغذَّيت مرة عنده، فلمَّا تفرَّق الناس نهضتُ فقال: على رسلك فقعدت، فقال: أي الأمرين أحبُّ إليك؟ المقام عندنا مع المناصفة لك في المعاشرة أو الرجوع ولك الكرامة، فقلت: يا أمير المؤمنين، فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين وأعود إليهم، فإن أمرني اخترت رؤيته على الأهل والولد، فقال: لا، بل أرى لك الرجوع إليهم والخيار لك بعد في زيارتنا، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك، أتراني ملأت يديك؟ فلا خير في من ينسى إذا وعد، ودِّع إذا شئت صحبتك.

إذ جاءه الأعمى

قال ابن سوار: انصرفت يومًا من دار الخليفة المهدي، فلما دخلت منزلي دعيت بالطعام فلم تقبله نفسي، فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم، فنهضت وأمرت ببغلة لي فأُسرجت وأُحضِرت فركبتها، فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت: ما هذا؟ فقال: ألفا درهم جئت بها من مستغلك الجديد، قلت:امسكها معك واتبعني.

فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر، ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء، ثم رجعت إلى باب الأنبار وانتهيت إلى باب دار

نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم، فعطشت، فقلت للخادم: أعندك ماء تسقينه؟ قال: نعم، ثم دخل وأحضر قُلَّةً نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل، فناولني فشربت، وحضر وقت العصر فدخلت مسجدًا على الباب فصليت فيه، فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعمى يتلمَّس فقلت: ما تريد يا هذا؟ قال: إياك أريد، قلت: فما حاجتك؟ فجاء حتى جلس إلى جانبي وقال: شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء، فقلت: قل، فقال: ألا ترى إلى باب القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجت معه، ثم زالت عنا النعم التي كنا فيها وعمِيتُ، فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئًا يصلني به فأتوصَّل إلى سوار، فإنه كان صديقًا لأبي.

فقلت: ومن أبوك؟ قال: فلان بن فلان، فعرفته، فإذا هو كان أصدق الناس إليَّ، فقلت له: يا هذا، إن الله تبارك وتعالى قد أتاك بسوار ومنعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك، ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها إليه وقلت: إذا كان الغد فاحضر إلى منزلي.

ثم مضيت وقلت ما أُحدِّث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذا، فأتيت فاستأذنت عليه فأذن لي، فلما دخلت عليه قال: ادفعها إلى الأعمى، فنهضت فقال: اجلس فجلست، فقال: أعليك دَيْن؟ قلت: نعم، قال: كم دَيْنُك؟ قلت: خمسون ألفًا، فحدَّثني ساعة، وقال: امضِ إلى منزلك، فمضيت إلى منزلي، فإذا بخادم معه خمسون ألفًا، وقال: يقول لك أمير المؤمنين أقضِ بها دينك، قال: فقضيت منه، فلما كان الغد أبطأ عليَّ الأعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئت فقال: قد فكرت البارحة في أمرك فقلت: يقضي دينه ثم يحتاج إلى القرض أيضًا؟ وقد أمرت لك بخمسة آلاف أخرى، قال: فقبضتها

وانصرفت، فجاءني الأعمى فدفعت إليه ألفي دينًا، وقلت: قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على إحسان أبيك وكافأني على إسداء المعروف إليك، ثم أعطيته شيئًا آخر من مالي فأخذه وانصرف.

القسم الثاني

في محاسن المحبوب

قال الحكم بن أبي فنن:

لَـوْ قَسَـمَ اللهُ جُـزْءًا مِـن محاسِـنِهِ فِي النَّاسِ طَرًّا لَتَمَّ الحُسْنُ فِي النَّاسِ

قال الحكم بن قنبر:

كَأَنَّمَا البَدرُ مِن أَزْرَارِهِ طَلَعَا

وقال البحتري:

أَضَـرَّت بِضَـوءِ البَـدرِ وَالبَـدرُ طـالِعٌ وَقَامَـت مَقـامَ البَـدرِ لَمَّـا تَغَيَّبـا

وقال ابن الرومي:

يَا شَـبِيهَ البَـدرِ فَي الحُسْـ ـنِ وَفِي بُعـد المَنَـالِ

من هو كالشمس الطالعة أو الجانحة

قال قيس بن الحطيم:

فَرَأَيـتُ مِثـلَ الشَّـمسِ عِنـدَ طُلوعِها في الحُسـنِ أَو كَـدُنُوّها لِغُـروبِ

وقال البحتري يصف مرتحله:

دَنَـت عِنـدَ الـوَداعِ لِوَشـكِ بُعـدٍ دُنُـوَّ الشَـمسِ تَجـنَحُ لِلأَصـيلِ

وقال علي بن الأصفهاني:

وَقَدْ خَجلتْ شَمْسُ الضُّحَى مِنك غدْوَةٌ فَكَانَتْ كَمَا جَاءَتْ إلى الشَّرقِ تَرجعُ

ولكثير:

لَو أَنَّ عَزَّةَ خَاصَمَت شَمسَ الضُحى ... في الحُسـنِ عِنـدَ مُوَفَّـقٍ لَقَضـى لَهـا

ولجميل:

لَهـا النَّظـرَةُ الأولى عَلَـيهِم وَبَسـطَةٌ ... وَإِن كَـرَّتِ الأبصـارُ كـانَ لَهَـا العُقـبُ

من قيد النواظر لجماله

قال أبو فراس:

وَإذا بَـــدَا اقتَــادَتْ مَحَاسِــنُهُ ... قَسْــرًا إِلَيْــهِ أَعِنَّــةَ الحــدَقِ

ولابن المعتز:

مَنْظَــرٌ قَيَّــدَ عُيُــونَ الْــوَرَى ... فَلَــيْسَ خَلْــقٌ يَتَعَــدَّاهُ

من أعطى الحسن مشتهاه

قال المتنبي:

حَبيــبٌ كَـأَنَّ الحُســنَ كـانَ يُحِبُّــهُ ... فَـآثَرَهُ أَو جـارَ في الحُســنِ قاسِمُــه

وقال مُحَمَّد بن وهب:

قــد خَلَــعَ الحُســنُ علــى وجهِــهِ ... سِــــربالَ محمــــود ومَحســــود

حسن السافرة

قال الشماخ:

أَطارَت مِنَ الحُسنِ الرداءَ المُحَبَّرا

وقال يزيد بن الترية:

فألقتْ قناعًا دُونهُ الشَّمسُ واتقتْ بأحْسن مَوْصولين كفٍّ ومِعصمِ

وقال بعضهم:

لَهَا حَاجِبَان الحُسنُ والقُبحُ مِنهُمَا كَأَنَّهَا لَونَان مِن كَفِّ عَاشِق

العين المكسرة

ويستحسن في صفتها قول بشار:

حَوْرَاء إنْ نَظَرَتْ إلَيْكَ سَقَتْكَ بِالْعَيْنَين خَمْرَا

وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ ينفُثُ فِيهِ سِحْرَا

وسمع ذو الرمة إنسانًا ينشد قوله:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا فُعُولانِ بِالألْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقال ذو الرمة «فعولان» كأنه تورَّع أن يقول: «فعولين» فيكون ذلك بأمر الله تعالى.

العين الفاترة

قال البحتري:

وَكَأَنَّ فِي جِسمي الذي في ناظِرَيهِ مِنَ السقَم

وله:

ما بِعَينِي هَذا الغَزَالِ الغَريرِ مِن فُتونٍ مُستَجْلَبٍ مِن فُتورِ

ولهارون الرشيد:

وَتنـــالُ مِنْـــكَ بِحَـــدِّ مُقْلَتِهـــا مَـــا لا يَنـــالُ بِحَـــدِّهِ النَّصْـــلُ

ولأبي تمام:

إِنَّ لِلَّهِ فِي العِبـــــادِ مَنـــــايا سَـــلَّطَتَها عَلـــى القُلـــوبِ العُيـــونُ

وقال جعفر المصري:

نَظَـــرْتُ إِلَيْهَـــا نَظْـــرَةً فَكَأَنَّمَـــا نَظَـرَتْ بتِلْـكَ الْعَـيْنِ سِـكِّينًا شَـاطِرَا

العين الساحرة

قال كشاجم:

باللهِ يا مُتَفَـــــرِّدًا في حُســـــنِهِ ومُقَلِّبًـــا هـــارُوتَ بـــين مَحَـــاجِرِه

وقال الصاحب:

وَلَـــوْ أَنَّ هَـــارُوتًا رَأَى فَتْـــرَ عَينِـــهِ تَعَلَّـمَ كَيـفَ السِّـحْرُ فِي حَـدِّ جِفْنِـهِ

العين الكحلاء

قال صالح بن عبد القدوس:

كَحَّـــل الجَمـــال جفـــون أعيُنِهـــا فَغَنَـــينَ مِـــن كحـــلٍ بِـــلا كَحْـــل

وقال:

كَأَنَّهُمَـــا مكْحُولَتـــان بأَثمـــدٍ وَمَـا بِهِمَـا غـيرُ الملاحَـةِ مِـن كُحـلِ

الثغر

قيل: الثغر الحسن يُحلِّي الوجه القبيح.. قال البحتري:

كَأَنَّمَـــا يَبسِـــمُ عَـــن لُؤلُـــؤٍ مُنضَّـــدٍ أو بَـــرَدٍ أو أقَـــاح

وله:

لَـكَ مِـن ثغـرِهِ وَمِـنْ خَـدِّهِ مَـا ... شِـئتَ مِـن أقحُـوَان أوْ جُلنَـار

الجيد

وفي الجيد قال أبو علي:

إِذَا مَـا اجتَلَـى الـرَّائِي إليهَـا بطَرفِـهِ ... غُـروبُ ثَنَايَاهَـا أَضَـاءَ وَأَظلَمَـا

الأسنان

قال البحتري:

لَهَا مَبسَمٌ كَالبَدرِ يضحَكُ عَنْ دُرٍّ

وقال الزاهر:

نوناتُ دُرٍّ عَلَى دَالاتِ مُرْجَان

طيب الفم

قال المتنبي:

وَأَشْـنَبُ مَعسُـولٌ بـرَدِّ الثَّنَـايَا ... لَذِيـذُ المقبَـلِ وَالمُبتَسَـمِ

ويقال:

فمها أعذب من برد الشراب وجسمها أعجب من برد الشباب.

من ذكر طيب فم رغم أنه لم يذقه

أول من ذكر النابغة قال:

زَعَـمَ الهمَـام وَلَمْ أذقْـهُ أَنَّـهُ ... يَشـفِي بَرِيقَتِها مِنَ العَطَش الصدى

ولبشار:

يَا أطيبَ النـاسِ ريقًـا غَـير مُختَـبَرٍ		إلا شَـــهادَةَ أَطــرافِ المَســـاويكِ

طيب الفم وحسن المبتسم معًا

قال ابن الرومي:

وقبَّلـــتُ أفواهًـــا عِـــذابًا كَأَنَّهَـــا		يَنَـابيعُ خَمـرٍ حصَّـبت لؤلـؤ البَحْـرِ

وقال:

أُحَـاذِرُ فِي الظُّلُمَـاتِ أنْ تَسْتَشِـفَّني		عُيـونُ الغَيـارَى فِي وَمِيضِ المَضَـاحِكِ

وقال:

كَـأنَّ ابتسَـامَ البَـرْقِ بَيـنِي وَبَينهَـا		إِذَا لاحَ فِي بَعـضِ البُيُـوتِ ابتسَـامُهَا

ولمسلم:

تَبسَّـمَ عـن مثْـلِ الأقَـاحِي تَبسَّـمَت		لَـــهُ مزْنَـــةٌ صَـــيفِيَّةٌ فَتَبَسَّـــمَا

وقال:

كَـــأَنَّ دُرًّا إِذَا هِـــيَ تَبَسَّـــمَت		مِـــن ثغرِهَـــا فِي الحَـــدِيثِ يَنتشِـــرُ

الحسن الحديث والكلام

قال البحتري:

وَلَمَّــا التَقَينــا وَالنقــا مَوعِــدٌ لَنــا		تَعَجَّـبَ رائـي الـدُرُّ حُسـنًا وَلاقِطُـه

فَمِــن لُؤلُــؤٍ تَجلــوهُ عِنــدَ ابتِســامِها		وَمِـن لُؤلُـؤٍ عِنـدَ الحَـديثِ تُسـاقِطُه

وقال بشار بن برد: كأن حديثها سُكرُ الشَّرَابِ.

وقال ابن الرومي:

إنْ طـال لم يُملَـل وإن هـي أوجـزت ... ودَّ المحــــدَّثُ أنهــــا لم تـــــوجز

أحسن النساء

قيل لأعرابي: أي النساء أحسن؟

فقال: الحسنة المفترة عن الثغر الوافرة الشعر، فمها بارد وشعرها وارد.

وصف الشعر والوجه معًا

قال بكر بن النطاح:

بَيْضَـاءُ تَسْـحَبُ مِـن قَيـامٍ فَرْعَهَـا ... وَتَغِيــبُ فِيــهِ وَهُــوَ لَيْــلٌ أَســحَمُ

وَكَأَنَّهَـــا فِيـــهِ نَهَـــارٌ سَـــاطِعٌ ... وَكَأَنَّـــهُ لَيْـــلٌ عَلَيْهَـــا مُظْلِـــمُ

وقال ماني الموسوس:

نَشَــرَت غَــدَائِرَ شَــعرِها لِتُظِلَّــني ... خَـوفَ العُيـونِ مِـنَ الوُشـاةِ الرُّمَّـقِ

فَكَأَنَّـــــهُ وَكَأَنَّهَـــــا وَكَـــــأَنَّنِي ... صُــبحانِ باتا تَحــتَ لَيــلٍ مُطبَــقِ

وقال منصور النمري:

وَدَنَـــــتْ عَنَاقِيـــــدُ الْكُـــــرُو ... مِ عَلَـــــى الأهِلَّـــــةِ وَالْبُـــــدُور

السوالف

قال ابن الرومي:

أَسَــــــــاءَنِي إِعْرَاضُــــــــهُ ... عَــــــنِّي وَلَكِــــــنْ سَــــــرَّنِي

سَــــــــالِفَتَاهُ عِـــــــــوَضٌ ... مِــــن كُــــلِّ شَــــيءٍ حَسَــــنِ

وللصنوبري:

للغُصـــنِ أَعْطَافُهَـــا وَقَامَتُهَـــا ... وَللرَّشَـــا جِيــــدُهَا وَعَيْناهَـــا

الصَّدغ

قال ابن المعتز:

أَلَمْ تَـــرَنِي بُلِيــــتُ بِــــذِي دَلَالٍ　　خَلِـــيَّ مَــا يَـــرِقُّ وَمَـــا يُبَـــالِي

غلَالَـــــةُ خَـــــدِّهِ وَرْدٌ جَـــــنِيٌّ　　وَنُـــونُ الصَّـــدْغِ مُعْجَمَـــةٌ بِخَـــال

وقال ديك الجن:

كَـأَنَّ قَافًـا أُدِيـرَتْ فَـوْقَ وجْنَتِـهِ　　وَاخْـتَطَّ كَاتِبُهَـا مِـن بَعْـدِهَا أَلِفَـا

وللصنوبري:

عقــــربُ الصــــدغِ لِمــــاذَا　　سَــــالمتُه وَهُـــــو وَحـــــدُه

تلــــدَغُ النَّــــاسَ جميعًــــا　　ثم لَا تَلــــــــدَغُ خَـــــدَّه

العذار

قال أبو الفضل بن العميد:

مِــنْ عُــذَيْرِيٍّ مِــن عَــذَارَى قَمَــر　　عَــرَّضَ القَلــبَ لأَسـبَابِ التَّلَــف

عَلِــمَ الشَّــعْرُ الــذِي عَاجَلَــهُ　　أَنَّـــهُ جَـــارَ عَلَيْـــهِ فَوَقَـــفْ

وقال بعضهم:

رَأيــتُ وَقَــد لَاحَ العــذَارُ بِخَــدِّه　　عَلَـى وَجْهِـهِ نَمْـلًا يَـدبُّ عَلَـى عَـاجِ

حسن الكف والأنامل

قال النابغة:

بِمُخَضَّـــبٍ رَخـــصٍ كَـــأَنَّ بَنانَـــهُ　　عَـنَمٌ يَكَـادُ مِـنَ اللطافَـةِ يُعقَـدِ

ولابن المعتز:

أَثمَرَت أَغصانُ راحَتِهِ ... لِجُناةِ الحُسنِ عُنّابا

وقال آخر: أطرَافُها تعقِدُ من لينها.

البنان المخضبة

قال ابن الرومي:

وَكَفٌّ كَأَنَّ الشَّمسَ أَبدَتْ بَنَانَهَا ... عَلَى اللَّيلِ مَخْضُوبًا فَقَمعَهَا اللَّيلُ

طول القامة

قال بشار:

وَحَوْرَاءُ المَدَامِعُ مِن معدٍ ... كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطَعُ الجمَانِ

إِذا قامَت لِمَشيَتِها تَثَنَّت ... كَأَنَّ عِظامَها مِن خَيزُرانِ

ولآخر:

كَأنَّهُ فِي اعْتِدَالِهِ أَلِفٌ ... لَيسَ لَهُ فِي الْكِتَابِ تَحْرِيفُ

دقة الخصر

قال ابن الرومي:

ظَبيٌ كَأنَّ بِخَصْرِهِ ... مِن ضَمرِهِ ظَمَأً وَجُوعَا

وقال آخر:

مُخَصَّرُ الخَصْرِ هَضِيمُ الحَشَى ... صَغِيرٌ أثناءَ الوشَاحَينِ

وقال السري الرفاء:

ضَعُفَتْ معاقِدُ خصرِه وعهودُه ... فكأَنَّ عَقْدَ الخصرِ عَقْدُ وَفَائِه

وللمتنبي:

وَخَصــــرٌ تَثبُـــتُ الأبصـــارُ فيـــهِ كَــأَنَّ عَلَيــهِ مِــن حَــدَقٍ نِطاقــا

وللسري الرفاء:

أحاطَــتْ عيــونُ العاشــقينَ بِخَصْــرِه فَهُــنَّ لــه دُونَ النِّطَــاقِ نِطــاقُ

وقال عباس:

بَكـــى وشـــاحاها وَلَمْ يُشـــكَيا وإنَّمـــا أَبكاهُمـــا الجـــوعُ

وقال المتنبي:

كَأَنَّمـــا قِـــدُّهَا إِذَا انفَلَتـــت سَــكران مِــن خَمــرِ طَرفِهَــا ثَمِــلُ

طيب الرائحة

وصَفَ رجل امرأة فقال:

إنها كنور يبتسم في الأسحار ونور يبتسم في الأشجار.

قال امرؤ القيس:

أَلَمْ تَــرَيَانِي كُلَّمَــا جِئــتُ طَارِقًــا وَجـــدَتُّ طِيبًـــا وَإن لم تَطيـــبُ

وقال العباس:

فَكَيــفَ أَصْــنَعُ بِالوَاشِــينَ لَا سَــلِمُوا وَالعَنبَــرُ الــوَرْدُ يَأتِــيهُم بِأخبَــاري

وللنوبجي:

إِذَا كَتَمَـــــــتْ زِيَارَتَهَـــــــا أَذَاعَ الطَّيـــــبُ مَـــا كَتَمَـــــتْ

فَـــــأنطَقَ ألسُـــــنَ الوَاشِـــــينَ لَا كَانَـــــــتْ وَلَا نَطَقَـــــــتْ

الثني في المشي

قال ابن مقبل:

يَهْـزُزْنَ لِلْمَشْـيِ أوصـالًا مُنَعَّمَـةً ... هَـزَّ الجَنُـوبِ ضُـحًى عِيـدَانَ يَبْرِينَـا

يَمْشِـينَ هَيْـلَ النَّقَـا مَالَـتْ جَوَانِبُـهُ ... يِنْهَـالُ حِينًـا وَيَنْهَـاهُ الثَّـرَى حِينَـا

البحتري:

لَمَّـا مَشَـينَ بِـذي الأراكِ تَشَـابَهَت ... أَعطـافُ قُضـبانٍ بِـهِ وَقُـدودِ

تفضيل السُّود

إنَّ سَـعْدِي وَاللهِ يَكـلأُ سَـعْدِي ... مَلكَـتْ بِالسَّـوَادِ رِقَّ سَـوَادِي

أَشْـبَهَتْ مُقْلَـتِي وَحَبَّـةَ قَلْـبِي ... وَبِهَـا فَهِـيَ نَاظِـرِي وَفُـؤادِي

وقال ابن الرومي في سوداء:

كَأَنَّهَـا وَالمِـزَاحُ يُضْـحِكُهَا ... لَيْـلٌ تَفَـرَّى دُجَـاهُ عَـن فَلَـقِ

وذكرت قصيدة ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحها فقال أبو الحسن بديهة:

سَكَنتَ سَوَادَ العَينِ إذْ كُنتَ شَبهُهُ ... فَلَمْ أدرِ مَنْ عَزَّ مِن الْقَلْبِ مِنكُمَا

أُحِبُّـكِ يَا لَـونَ السَّـوَادِ لَأَنَّـنِي ... رَأَيتُكُمَـا فِي العَـينِ وَالقَلـبِ تَوْأَمَـا

أوصاف مجموعة من الجمال

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن فقال: التي لطفت كفَّاها ونهد ثدياها وسال خدَّاها.

ويقال: كأن وجهه البدر ليلة سعده وتمامه قد رُكِّب في غصن بان وقضيب

ريحان أهيف القد أدعج العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين مسبل الذراعين أرق من الهواء والماء وأحسن من الدمى وأضوأ من النهار إذا استنار، وأبهى من سرابيل الأنوار، لا يجري بوصفه الوهم ولا يبلغ نعته الفهم، كأن أنفه قصبة در وحد حسام، وكأن فمه حلقة خاتم، وكأن جيده جيد ظبي قد أتلع لرؤية قانص، سبط الأنامل لين القلب دقيق الخصر حلو الشمائل، كأنما خُلِق من كل قلب، فكل حسن له فيه حظ ولكل قلب إليه ميل.

وفي وصف جارية: وجهها كضوء البدر وخدها كجني الورد ولسانها ساحر وطرفها فاتر ضمها يهيج اللوعة ونطقها ينقع الغلة، ثغرها كاللؤلؤ النظيم يجلو دجى الليل البهيم، ريحها كالراح المعتق ختامه كالمسك المفتق، يستجمع صنوف النعيم مجالسها ولا يأسى على ما فاته مالكها، صبيحة الحدقة مريضة الجفون كأن ساعدها طلعة ومعصمها جمار وأصابعها مداري فضة، وكأن نحرها من ساج وبشرتها من زجاج.

وقال أعرابي في وصف امرأة: عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها ولطف كفاها ونعم ساعداها هي النفس ومناها.

وللمتنبي:

سُــــهَادٌ لأَجْفَــانٍ وَشَمْــسٌ لِنَــاظِرٍ وَسُــقمٌ لأَبْـدَانٍ وَمِســكٌ لِنَاشِــقِ

ما يجب أن تكون عليه الحسان.

رباعيات

يجب أن يكون في المرأة أربعة أشياء سود: شعر الرأس والحاجبان وأشفار العين والحدقة.

وأربعة بيض: اللون وبياض العين والأسنان والساق.

وأربعة حمر: اللسان والشفتان والوجنتان واللثة.

وأربعة مدورة: الرأس والعنق والساعد والعرقوب.

وأربعة طوال: الظهر والأصابع والذراعان والساقان.

وأربعة واسعة: الجبهة والعين والصدر والوركان.

وأربعة دقيقة: الحاجبان والأنف والشفتان والأصابع.

القسم الثالث

في وصف الشّعر

قال الشريف الرضي:

رَأَت شَـــعَراتٍ فِي عِـــذارِيَ طلقَـــةً　　كَمَـا افتَـرَ طِفـلُ الـرَوضِ عَـن أَوَّلِ

فَقُلتُ لَهَا ما الشعرُ سالَ بِعارِضي　　وَلَكِنَّـــهُ نَبـــتُ السِـــيادَةِ وَالحِلـــمِ

يَزِيـــدُ بِـــهِ وَجهـــي ضِـــياءً وَبَهجَـــةً　　وَمَا تُنقَصُ الظَلماءِ مِن بَهجَةِ النَّجم

ظهور الشيب واختلاط البياض

قال الفرزدق:

والشـيبُ يـنهَضُ فِي السَّـوَادِ كَأَنَّـهُ　　لَيْـــلٌ يَصِـــيحُ بِجَانِبَيـــهِ نَهَـــارُ

وقال الطائي: كالصبح أحدث للظلَام أفُولا.

وقال ابن الرومي:

شــعراتٌ في الــرأس بــيضٌ ودعْــجُ　　حــلَّ رأســي جِــيلان روم وزنــجُ

من شاب قبل أوانه

قال أبو نواس:

وَإِذا عَـدَدتُ سِـنِيَّ كَـم هِـيَ لَم أَجِـد　　لِلشـيبِ عُـذرًا في النُـزولِ بِرأسـي

كشاجم:

إِذَا فَكَّـــرْتُ فِي شَـــيْبِي وَسِـــنِّي　　عَتبـــتُ عَليـــهِ فِيمَـــا نَالَ مِـــنِّي

وقال:

لَـوْ كَـانَ يُمكِنُـنِي سفرتُ عَـن الصِّبا		فَالشَّـيبُ مِـن قَبـلِ الأَوَانِ يَلـثمُ
وَلَقَـد رَأيـتُ الحَـادِثَاتِ فَـلَا أَرَى		شَـيبًا يُميـتُ وَلَا سَـوادًا يَعصِـمُ

وقال:

قـد رأينـاه بالعشـيُّ غلامًـا		فعـدونا نعـده في الكهـول

وقال الموسوي:

وَعَارَضَـنِي فِي عَارِضِـي مِنـهُ أَنْجُـمُ		ظَلَمنَ شَبَابِي وهيَ فِي القَلبِ أَسْهُمُ

من شاب من الوقائع والشدائد

قال الحسن بن رجاء:

أَن يشـب رَأسِـي فَمِـن كَـرَمٍ		لَا يَشِـيبُ المـرْءُ مـن كـبرِه

وقال الشريف الرضي:

وَمَا شِبتُ مِنْ طُولِ السِّنِينِ وَإِنَّمَا		غُبَارُ حُرُوبِ الدَّهرِ غَطَّى سَوَادِيَا

المتذمم لتعاطي ما تعاطاه في أيام الصبا

قال الواسطي: حان حصادي ولم يصلح فسادي.

وقال البحتري:

وَأَضلَلتُ حِلمي فَالتَفَتُّ إِلى الصِبا		سَفاهًا وَقَد جُزتُ الشَبابَ مَراحِلا

ولأبي سعيد الرستمي:

قَبِـيحٌ بِـذِي الشَّـيبِ أن يَطـربَا		وَمَـا لِلمَشِـيبِ وَمَـا للصِّـبَا
أَمِـن بَعـدِ خَمْسِـينَ ضَـاعَتْ سُـدَى		وَأَوْدَى بِهَـا اللَّهْـوُ أَيـدِي سـبَا

تَشِــــيمُ بــــرُوقُ الــــدِّمَا دَائِمًــــا وَقَــدْ شَــامَتْ العَــارِضُ الأشـــيَبَا

وَأَقْـــبِح بِـــذِي عَـــارِضٍ أَشْـــيَبِ إِذَا قَابَـــل العَـــارِض الأشـــنَبَا

وَأَهْلَـــــك واللَّيـــــلُ بَادر بِـــــهِ فَقَــد كَــادَت الشَّــمسُ أن تغْــربَا

قال كثير: أتيت جميلًا أستنصحه هل أظهر الشعر فأنشدته:

وَكانَ الصِبا خِدنَ الشَبابِ فَأَصبَحا وَقَـد تَرَكـاني في مَغانيمِهـا وَحـدي

فقال: حسبك، أنت أشعر الناس.

وقال أحمد بن طيفور:

رَكِبتُ الصِّبا حَتَّى إِذَا ما وَنَى الصبا نَزَلـتُ مِـنَ التقـوى بِأَكـرَمِ مَنـزِلِ

وَدينُ الفَتى بَينَ التنَسُّكِ وَالنُّهى وَدُنيـا الفَـتى بَـينَ الصِّبا وَالتغَـزُّلِ

فيمن زعم أنه ترك التصابي لغير ملالة

قال البحتري:

إِنّي وَإِن جانَبـتُ بَعـضُ بَطـالَتي وَتَـوَهَّمَ الواشـونَ أَنّي مُقصِـرُ

لَيَشـوقُني سِـحرُ العُيـونِ المُجتَلـى وَيَـروقُني وَردُ الخُـدودِ الأَحمَـرُ

تارك الصبا قبل هجوم شيبه

قال البحتري:

لا أَجمَعُ الحِلمَ وَالصَهباءَ قَد سَكَنَت نَفسـي إِلى المـاءِ عَـن مـاءِ العَناقيـدِ

لَم يَنهَـني فَنَـدٌ عَنهـا وَلا كِبَـرٌ لَكِن صَحَوتُ وَغُصني غَيرَ مَخضودِ

مدح الشيب بالوقار والعفة

تأمل حكيم شيبه فقال: مرحبًا بزهرة الحنكة وثمرة الهدى ومقدمة العفة

ولباس التقوى.

وروي أن إبراهيم (عليه السلام) لما بدأ الشيب بعارضيه قال: يا رب، ما هذا؟

قال: وقار.

قال: يا رب زدني وقارًا.

وعُيِّر حكيم بالشيب فقال: الشيب نور يورثه تعاقب الليالي والأيام، وحلم يفيده مر الشهور والأعوام، ووقار تلبسه مدة العمر ومضي الدهر، قال دعبل:

أَهــلًا وســهلًا بِالْمَشــيبِ فَإِنَّــهُ ... سِمَــةُ العَفيــفِ وَحِليَــةُ الْمُتَحَــرِّجِ

ضَــيفٌ أَحَــلَّ بِي النُّهــى فَقَرَيتُــهُ ... رَفــضَ الغوايَــةِ وَاقِتصــادَ المَــنهَجِ

ازورار النساء عن المشيب

قال: ابن الرومي:

أَعِـرْ طَرْفَـكَ المـرْآةَ وَانظُـرْ فَـإن نَبَـا ... بعينَيك عنكَ الشيبُ فَالبِيضُ أعذَرُ

إذا شَـنِئَت عـينُ الفَـتَى وجـهَ نَفْسِـهِ ... فَعَــينُ ســوَاهُ بِالشَّــنَاءةِ أجْــدَرُ

وقال ابن المعتز:

لَقَــدْ أَبغَضــتُ نَفْسِــي فِي مَشِــيبِي ... فَكَيــفَ يُحِبُّــنِي البِــيضُ الكَوَاعِــبُ

وقال الصاحب: قد سبق ابن المعتز كل من قال في رغبة النساء عن المشيب بقوله:

فَظَللــتُ أطلُــبُ وَصْــلَهَا بتَــذَلُّلِ ... وَالشَــيبُ يَغمِزُهــا بألا تَفْعَلِــي

ذم الشباب بقلة الوفاء والبقاء

قال بعضهم:

لَمْ أَقُـــل لَلشَّـــبَابِ فِي دِعَّـــةِ اللهِ   وَفِي حفظِـــــهِ غَـــــدَاة تَـــــوَلَّى

زَائِـــــــرٌ زَارَنِي أَقـــــامَ قَلِـــــيلًا   سَـــوَّدَ الصُّـــحُفَ بِالـــذُّنُوبِ وَوَلَّى

وقال منصور الفقيه:

مَـا كَـانَ أقصَـرَ أَيَّامِ الشَّـبَابِ وَمَـا   أبقَـى حَـلاوَةَ ذِكْـرَاهُ الـتي يَـدَعُ

تمني عوده والدعاء له

قال أبو العتاهية:

أَلَا لَيْـــتَ الشَّـــبَابَ يَعُـــودُ يَوْمًـــا   فَـــأَخْبِرَهُ بِمَـــا فَعَـــلَ المَشِـــيبُ

وقال النميري:

واللهِ لَـــــوْ أُعطَـــــى المُــــنَى   لَـــــــوَدَدتُ أيَّامَ الصـــــــبَا

وَمُعَاتِبَـــــــاتٍ كُـــــــنَّ لي   وَمُـــــــدَاعَبَاتٍ لِلـــــــدُّمَى

القسم الرابع

في الغزل

قال المتنبي:

أَزورُهُــم وَسَــوادُ اللَيــلِ يَشـفَعُ لِي   وَأَنثَـني وَبَيـاضُ الصُّـبحِ يُغـري بِي

وقال ابن المعتز:

وَجـاءَنِي في قَمـيصِ اللَيـلِ مُسـتَتِرًا   يَستَعجِلُ الخَطوَ مِن خَوفٍ وَمِن حَذَرِ

فَقُمتُ أَفرِشُ خَدّي في الطَريقِ لَهُ   ذُلًّا وَأَسـحَبُ أَذيَالي عَلـى الأَثَـرِ

وَلاحَ ضَـوءُ هِـلالٍ كـادَ يَفضَـحُنا   مِثلَ القُلامَـةِ قَـد قُـدَّت مِـنَ الظُفُـرِ

فَكَـانَ مَـا كـانَ مِمّـا لَسـتُ أَذكُـرُهُ   فَظُـنَّ خَـيرًا وَلا تَسـأَل عَـنِ الخَـبَرِ

وقال سعيد النصراني:

وَعَـدَ البَـدرُ بِالـزِّيارَةِ لَـيْلًا   فَـإِذَا مَـا وَفَى قَضَـيتُ نُـذُورِي

قُلـتُ يَا سَـيِّدِي وَلِمَ تُـؤْثِرُ اللَّيـلَ   عَلَـى بَهْجَـةِ النَّهَـارِ المُنِـيرِ

قَـالَ لَا أَسْـتَطِيعُ تَغْيِـيرَ رَسْمِـي   هَكَـذَا الرَّسْـمُ فِي طُلُـوعِ البـدُورِ

من صار الطيب والحلي واشيًا عند زورته

قال البحتري:

وَزارَت عَلـى عَجَـلٍ فَاكتَسـى   لِزَورَتِهـا أَبـرَقُ الحَـزنِ طيبَـا

فَكَـانَ العَبـيرُ بِهـا وَاشِـيًا   وَجَـرسُ الحُلِـيِّ عَلَيها رَقيبَـا

وقال العباس:

قَامَــت تَثَــنَّى وَهــيَ مَرعوبَــةٌ تَــوَدُّ أَنّ الشَّــملَ مَجمــوعُ
بَكَــى وُشــاحاها وَلَمْ يُشــكَيا وَإِنَّمــا أَبكاهُمــا الجــوعُ
فَانتَبَــهَ الهــادونَ مِــن أَهلِهــا وَصــارَ لِلمَوعِــدِ مَرجــوعُ

امتناع المحبوب

قال أبو أدهم:

لَمَّــا رَأَيــتُ مُعَــذِّبِي أَلْفَيْتُــهُ كَالْمُحْتَشِــمِ
طَلَبْــتُ مِنــهُ زَوْرَةً تَشْــفِي السَّــقِيمَ مِــنَ السُّــقمِ
فَــأَبَى عَلَــيَّ وَقَــالَ لِي فِي بَيتِــهِ يُــؤْتَى الحِكَــمِ

من سأل رفيقه أن يزور به صديقه

قال عوف بن سعد:

خَليلــيَّ عوجــا بَاركَ اللهُ فيكُمَــا وإن لم تَكُـنْ هنـدٌ لأرضِـكما قَصْـدا
وقـولَا لهـا لَـيسَ الضَّـلالُ أجـازَنا ولكنَّنــا جُــزنا لنلقَــاكُم عَمــدًا

وقال نصيب:

بِزَيْنَـبَ أَلْمِـمْ قَبْـلَ أن يَظْعَـنَ الرَّكْـبَ وَقُـل إنْ تَمَلِينـا فَمَـا مَلـكَ القَلْـبُ

النهي عن كثرة النظر وذمه

قال الله تعالى: قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ.

وقال النبي ﷺ: «لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست الآخرة».

وقيل: «من كثرت لحظاته دامت حسراته».

«**فضول المناظرة من فضول الخواطر**»

قال أبو الفيض: خرجت حاجًّا، فمررت بحي، فرأيت جارية كأنها فلقة قمر، فغطت وجهها، فقلت: يرحمك الله، أنا سفر وفينا أجر فمتعينا برؤية وجهك، فقالت:

وَكُنتَ مَتَى أَرْسَلتَ طَرفَكَ رَائِدًا ... لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرِ
رَأَيْتَ الذِي لَا كُلُّهُ أنتَ قَادِر ... عَلَيهِ وَلَا عَن بَعْضِهِ أَنتَ صَابِرِ

ومرت أعرابية بجماعة من بني نمير، فأداموا لها النظر، فقالت: يا بني نمير، ما فعلتم بقول الله: قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ولا بقول الشاعر:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَيْرٌ ... فَلَا سَعْدًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

فأطرقوا حياء.

وقال أبو العباس بن الأحنف:

وَمُسْتَفْتِحٍ بَابَ الْبَلَاءِ بِنَظْرَةٍ ... تَزَوَّدَ مِنهَا شُغلهُ آخِرَ الدَّهْرِ

وقال أبو تمام:

إنَّ للهِ فِي الْعِبَادِ مَنَايَا ... سَلَّطَتَهَا عَلَى القُلُوبِ العُيُونُ

النهي عن تمكين المرأة من النظر إلى الرجل

قال بعضهم: لأن يرى رجل امرأتي أسهل عندي من أن ترى امرأتي رجلًا.

قال ذو الرمة:

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ وَلَوْ أَخًا ... مَا فِي الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ أَمِين
إِنَّ الأمِينَ وَإِنْ تَحَفَّظَ جَهْدَهُ ... لَا بُدَّ أَنَّ بِنَظَرِهِ سَيَخُونُ

الرخصة في النظر

قال الحسن: «النظر على الوجه الحسن عبادة».

معناه أن الرائي يقول: سبحان الله.

ورؤي شريح بقارعة الطريق، فقيل له: ما وقوفك؟ قال: عسى أن أنظر إلى وجه حسن أتقوَّى به على العبادة.

قال ابن الدمية:

يَقُولُــونَ لَا تَنْظُــرْ وَتِلْــكَ بَلِيَّــةٌ   أَلَا كُــلُّ ذِي عَيْنَــيْنِ لَا بُــدَّ نَاظِــرُ

وَلَـيْسَ اكْتِحَـالُ الْعَـيْنِ بِالْعَـيْنِ رِيبَـةٌ   إِذَا عَــفَّ فِيمَــا بَيْــنَهُنَّ الضَّــمَائِرُ

وقال مصعب بن الزبير - وكان جميلًا - لصوفي رآه يحد النظر إليه: لم تحدُّ النظر إليَّ؟

فقال: لا تنكر نظري، فإنك من زينة الله في بلاده، أما سمعت قول ابن العلاف:

مَــا لِمَــن تَمَّــتْ مَحَاسِــنُهُ   أَنْ يُعَــادِيَ طَــرْفَ مَــن رَمَقَــا

لَــكَ أَنْ تُبْــدِيَ لَنَــا حُسْــنًا   وَلَنَــا أن نُعْمِــلَ الْحَــدَقَا

وقال آخر:

أَبْــرَزُوا وَجْهَــهُ الْجَمِيــل   وَلَامُــوا مَــنْ افْتَــتَنْ

لَــو أَرَادُوا عَفَافَــةً   نَقَّبُــوا وَجْهَــهُ الْحَسَــنْ

وقال تمار:

لَا تَمْنَعَــنِي إِن نَظَــرْ   تُ فَــلَا أَقَــلُّ مِــنَ النَّظَــرْ

دَعْ مُقْلَتِيَّ تَنْظُرْ إِلَيْكَ فَقَدْ أَضَرَّ بِهَا السَّهَرْ

من تمنى النظر إلى محبوبه والاستشفاء بلقائه

قال الخبزارزي:

مِفْتَاحُ كُلِّ لَذَاذَةٍ نَظَرُ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ

طُوبَى لِعَيْنٍ أَبْصَرَتْ وَجْهَ الْحَبِيبِ بِلَا رَقِيبِ

وقال ابن قنبر:

رَمِدَتْ فِي الْحُبِّ عَيْنِي فَأَكْحِلُوهَا بِالْحَبِيبِ

وقال العباس:

إِذَا ما التَقَينا كانَ أَكثَرَ حَظِّنا وَغايَةَ مَا نَرضَى بِهِ النَظَرُ الشزرُ

ازدياد الوجد بالنظر

قال وهب الهمذاني:

زَوَّدتُّ الْعَيْنَ مِن لوَاحِظِهَا زَادًا فَكَانَ الْحِمَامُ فِي النَّظَرِ

وقال إبراهيم الموصلي:

وَلَو أَنِّي نَظَرْتُ بِكُلِّ عَيْنٍ لَمَا اسْتَقْصَتْ مَحَاسِنَهُ الْعُيُون

ترك الذنب على العين والقلب

قال الصولي:

فَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوٍّ وَصَاحِبٍ فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُوتِيتُ وَمِنْ قَلْبِي

هُمَا اعتَورَانِي نَظْرَةٌ ثُمَّ فِكْرَةً فَمَا أَبْقَيَا لِي مِن رُّقَادٍ وَمِن لبِّ

وقال:

إذَا لُمْــتُ عَيْــنَيَّ التَّــين أَضَــرَّتَا بِجِسْــمِي يَوْمًــا قَالَتَــا لِي لِمَ القَلْبَــا

فَـإن لمْـتُ قَلْـبِي قَـالَ عَيْنَـاكَ قَـادتَا إلَيْــكَ الْــبَلَايَا ثُمَّ تَجْعَــلُ لِيَ الــذَّنْبَا

وقال أبو القاسم المصري:

أَلُــومُ قَلــبِي وَناظِــرِي فَهُمَــا تَعَــاوَنَا وَالنَّــوَى عَلَــى قَلْــبِي

ترك الذنب على العين دون القلب

قال أبو تمام:

لَأُعَــذِّبَنَّ جُفُــونَ عَيْــنَيَّ إنَّمَــا بِجُفُــونِ عَيْــنَيَّ جَــلَّ مَــا أَتَعَــذَّبُ

وقال العطوي:

فَــلَا عَجَــبٌ وَلا أَمْــرٌ بَــديع جِنــاياتُ العُيــونُ عَلــى القُلــوب

تركه على القلب دون العين

كفى بكون القلب مذنبًا وداعيًا إلى فعل الشر أن النفس لأمارة بالسوء.

وقال الشاعر: ألا إنما العينانِ للقَلْبِ رَائِدُ.

وقال الشريف الرضي:

الــنَفسُ أَدنى عَــدوٍّ أَنــتَ حَــاذِرُهُ وَالقَلـبُ أَعظَـمُ مَـا يُبلـى بِـهِ الرَّجُـلُ

قلة شبع العين من النظر

قيل: لا تشبع عين من نظر ولا أذن من خبر ولا أرض من مطر.

وقال أبو العباس:

لَيْتَــــنِي إِذْ أَرَاهُ كُلِّــــي عُيُــــونُ فَبِعَيْنَــــينِ لَسْــــتُ أَشْــــبَعُ مِنْــــه

اختلاس النظر خشية الرقباء

قال أبو الشيص:

وَنَظــــــرَةُ عَـــــين تَعللتُهــــــا ‏ ‏ ‏ ‏ حـــذارًا كمـــا نَظَـــر الأحـــوَلُ
تَقَسَّـــمتُها بَـــينَ وَجـــه الحَبيـــب ‏ ‏ ‏ ‏ وَطَـــرف الرَقيـــب مَـــتى يَغفَـــلُ

ونحوه:

إذا مــا التَقينــا وَالوُشــاة بِمَجلِــسٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فَلَيسَ لَنَا رُسلٌ سِوى الطَّرفِ بِالطَّرفِ
فَــإِن غَفَــلَ الواشــونَ فُــزتُ بِنَظــرَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وَإِن نَظَـروا نَحـوي نَظَـرتُ إِلى السَّـقفِ

وقال أبو العيناء:

حَمِـــدْتُ إلهـــي إِذْ بِـــلاني بِحُبِّهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ عَلى حَوَلٍ يُغْني عَنِ النَّظَرِ الشَّـزْرِ
نَظَـــرْتُ إِلَيْهَـــا وَالرَّقِيـــبُ يَظُنُّـــني ‏ ‏ ‏ ‏ نَظَـرْتُ إِلَيْـهِ فَاسْـتَرَحْتُ مِـنَ العُـذْرِ

التخاطب بالنظر

قال علي بن هشام:

فَسَـــلَّمَتْ إِيمَـــاءً وَوَدَّعَـــتْ خِفْيَـــةً ‏ ‏ ‏ ‏ فَكَـانَ جَـوَابِي كَسْـرُ عَـيْنٍ وَحَاجِـبِ

وقال ابن أبي طاهر:

وَفِي غَمْـــزِ الْحَوَاجِـــبِ مُسْـــتَرَاحٌ ‏ ‏ ‏ ‏ لِحَاجَـاتِ الْمُحِـبِّ عَلَـى الْحَبِيـبِ

وقال:

وَمَجلِـــس لَـــذَّةٍ لَم نَقـــوَ فيـــهِ ‏ ‏ ‏ ‏ عَلَـى شَـكوى وَلا عَـدِّ الـذُّنوبِ
فَلَمَّـــا لَمَ نُطِـــق فيـــهِ كَلامًـــا ‏ ‏ ‏ ‏ تَكَلَّمَـتِ العُيـونُ عَـنِ القُلـوبِ

وقال الهند: اللحظ ترجمان القلب واللسان ترجمان البدن.

كون نظر المحبوب إلى محبه قاتلًا

قال ابن الرومي:

نَظَـرَتْ فَأَقْصَـدَتِ الْفُـؤَادَ بسَـهْمِهَا ... ثُمَّ انثَنَـــتْ عَنـــهُ فكَـــادَ يَهِـــيمُ

وَيْـلَاهُ إن نَظَـرتُ وَإِنْ هِـيَ أَعْرَضَـتْ ... وقـــع السِّـــهَامُ وَنَـــزْعُهُنَّ أَلِـــيمُ

تحير العاشق بالنظر إلى معشوقه

قال أحمد بن أبي طاهر:

عِتَـــابًا كَـــأَيَّامِ الحَيَـــاةِ أَعُـــدُّهُ ... لَأَلقَـى بِـهِ بَـدرَ السَّـمَاءِ إذا حَضَـر

فَـإِن أَخَـذَت عَيـني مَحاسِـنَ وَجهِـهِ ... دُهشـتُ لِمـا أَلقى فَيملكُـني الحَصَـر

السهل اللقاء الصعب المنال

قال أبو عيينة:

فقُلتُ لأصحَابي هِيَ الشَّمسُ ضوؤهَا ... قَرِيـــبٌ وَلَكـــن فِي تَنَاوُلِهَـــا بُعـــدُ

وقال أبو نواس:

مَبذولَـــــةٌ لِلعُيـــــونِ زَهرَتُـــــهُ ... مَمنوعَـــةٌ مِـــن أَنَامِـــلِ الجـــاني

وَلَســتُ أَحظـى بِـهِ سِـوى نَظَـرٍ ... يشـــركُني فيـــهِ كُـــلُّ إنســـانِ

وقال العباس:

هـي الشـمسُ مسـكنُها في السَّـماء ... فعـــزَّ الفـــؤادَ عَـــزاء جَمِـــيلَا

فَلَـــن تَســـتَطيعَ إِلَيها الصُـــعودَ ... وَلَـــن تَســـتَطيعَ إِلَيـــكَ النُـــزولَا

من سهل بالكلام وصعب بالمنازل

قال إبراهيم بن المهدي:

وَقَـد يَلِـينُ بـبَعضِ القَـولِ يَبذُلُـه وَالوَصـلُ فِي وِزر صَـعبٌ مراقِيـه
فَـالخيزَرَانُ مَنيـعٌ مِنـكَ مَكسَـرُه وَقَـد يُـرَى لِينًـا فِي كَـفِّ لَاوِيـه

استحسان التقاء المتحابين

قال مسلم العتبري:

لَا شَـيءَ أَحسَـنَ فِي الـدُّنْيَا وَسَـاكِنِهَا مِـن وَامِـقٍ قَـد خَـلَا فَـردًا بِمَومُـوق

المعانقة

وقال إبراهيم الصولي:

سَـاعَدَنا الـدَّهرُ فَبِتنـا مَعـا نَحمِـل مـا نَجـني عَلـى السُّـكر
فَكُنـتُ كَالمـاءِ لـه قارِعـا وَكـانَ فِي الرِّقَّـة كَـالخَمر

وقال علي بن الجهم:

سَـقى اللهُ لَـيلًا ضَـمَّنا بَعـدَ فُرقَـةٍ وَأَدنى فُـؤادًا مِـن فُـؤادٍ مُعَـذَّبِ
فَبِتنَـا جَميعًـا لَـو تُـرَاقُ زُجَاجَـةٌ مِـنَ الـرَّاحِ فِيمـا بَيننـا لَم تَسَـرَّبِ

وقال:

فَبِتْنَـا عَلَـى رَغـمِ الحَسُـودِ كأنَنَـا مَزِيجَـان مِـن مـاءِ الغَمَامَـةِ وَالخَمـرِ

وقال ابن المعتز:

كَـأَنَّني عَانقْـتُ رَيحَانَـةً تَنَفَّسَـت فِي لَيلِهَـا البَـارِدِ

فَلَــو تَــرَانَا فِي قَمِــيصِ الــدُّجَا حَســبتَنَا مِــن جَسَــدٍ وَاحِــدِ

من ذكر تمكنه من محبوبه

قال حجظة:

حَبِيـــــبٌ جَــــادَ لِي بِالرِّيـــــ ـــــقِ وَالظَّلمــــاءُ معتكفـــــه

وَسَــــــامحنِي بِمَــــــا أَهْــــــوَا هُ بَعـــــدَ التِّيـــــهِ وَالأَنَفَـــــة

سَتشْـــــكُرُ فِعْلَـــــهُ نَفْـــــسٌ بعَجـــــز الشُّـــــكرِ مُعتَرِفـــــه

وقال المأمون:

يَا لَيلَـــــةً فُـــــزنَا بِهَـــــا خُلـــوَةً جَامِعَـــــةً فِي ظِلِّهَـــــا الشَّـــــملُ

شَـــــرَابُنَا الرِّيـــــقُ وَكَأسُـــــنَا شِـــــفَاهُنَا وَالقُبَـــــلُ النَّقـــــلُ

تمني تقبيل الحبيب والاقتصار منه عليه

قال الصنوبري:

نَوَيـــــتُ تَقْبِيـــــلَ نَارِ وجنَتِـــــهِ فَخِفـــتُ أَدْنُـــو مِنـــهُ فَـــأحْتَرِقُ

تقبيل الحبيب اعتراضًا

قال ابن المعتز:

وَكَــمْ عِنَــاقٌ لَنَــا وَكَــمْ قُبَــلٌ مُختَلَسَـــاتٌ حَـــذَارَ مُرتَقِـــبِ

نَقــرُ العَصَــافِيرِ وَهِــيَ خَائِفَــةٌ مِــنَ النَّــوَاطِيرِ يَانِــعُ الرّطَــبِ

وقال أبو نواس:

وَعَاشِـــقَينِ التَـــفَّ خَـــدَّاهُمَا عِنـــدَ التِئَــامِ الحَجَــرِ الأَســوَدِ

فَاشْـــتَفَيَا مِـــنْ غَـــيْرِ أنْ يَأْثَمَــا	كَأَنَّمَــا كَـــانَا عَلَـــى مَوْعِـــدِ
لَــــوْلَا دِفَـــاعُ النَّـــاسِ إيَّاهُمَـــا	لَمَـــا اسْـــتَفَاقَا آخِـــرِ المســـنَدِ
نَفْعَـــلُ فِي المَســـجِدِ مَـــا لَمْ يَكُـــن	يَفعَلُـــــهُ الأبـــــرَارُ فِي المَســــجِدِ

استطابة تقبيله اختلاسًا واختفاء:

قال ابن سكرة:

سَـــــألتُهُ فِي صَـــــحوِهِ قُبلَــــةً	فَــــــرَدَّنِي وَالمَـــــــوْتُ فِي رَدِّهِ
حَـــتَّى إِذَا السُّـــكرُ ثَـــنَى جِيـــدَهُ	قَبَّلتُــــهُ ألفَـــا بِـــلَا حَمْـــدِهِ

وقال الحسن بن وهب: قبَّلتها فوجدت بين شفتيها ريحًا لو نام فيها المخمور لصحا.

وقال الصابئ:

أَقبَلـــتْ ثُمَّ قَبَّلـــتْ ظَهـــر كفِّـــي	قُبلَـــةً تَنقَـــعُ الغَليـــلَ وَتَشـــفِي
فَتلَظَّـــى فَمِـــي عَلَيهَـــا وَوَدَّتْ	شـــفَتِي أَنَّهَـــا هُنَالِـــكَ كَفِّـــي
فَعَضَضــتُ اليَـــدَ الـــتِي قَبَّلَتْهَـــا	بفَـــمٍ حَاسِـــدٍ يُرِيـــدُ التَّشَـــفِّي

وقال الموسوي:

ومُقبِّــــلٌ كَفِّــــي وَودَتُّ بأَنَّـــــهُ	أومَـــــا إلى شَـــــفَتَيَّ بِالتَّقبِيـــــلِ

موضع التقبيل

قيل: قُبلة المؤمن المؤمن المصافحة، وقبلة الرجل زوجته الفم، وقبلة الوالد الولد الرأس، وقبلة الأم الابن الخد.

قال أمير المؤمنين (ﷺ): قبلة الولد الرحمة، وقبلة الوالدين عبادة، وقبلة

الأخ الأخ رقة، وقبلة الإمام العادل طاعة.

من سأل محبوبه الوصل

قال الدمشقي:

تَعَالَ بِنَا نَعْصِي الوُشَاةَ وَنَشْتَفِي ... مِنَ الْوَصْلِ قَبلَ المَوتِ ثُمَّ نتُوبُ

سؤاله عودة النائل

قال بشار:

قَد زُرتِنا مَرَّةً فِي الدَّهرِ واحِدَةً ... عودي وَلا تَجعَليها بَيضَةَ الديكِ

يا رَحمَةَ اللهِ حُلِّي في مَنازِلِنا ... حَسبي بِرائِحَةِ الفِردَوسِ مِن فيكِ

المستكثر قليل الوصل من حبيبه

قال بعضهم:

بِحُرمَةِ ما قَد كانَ بَيني وَبَينَكُم ... مِنَ الوَصْلِ إلا عُدتُّم بجَميلِ

وَأَبَى ليُرضِيني قَلِيلُ نَوَالِكُم ... وإن كُنتُ لَا أَرضَى بِقَلِيلِ

وقال آخر:

قِفِي وَدِّعِينَا يَا مَلِيحُ بنَظْرَةٍ ... فَقَدْ حَانَ مِنَّا يَا مَلِيحُ رَحِيلُ

أَلَيسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرتُهَا ... إِلَيكَ وَكَانَ لَيسَ مِنكَ قَلِيلُ

وقال ابن المعتز:

قُل لِمَن حَيَّا فَأَحيا ... مَيِّتًا يُحسَبُ حَيًّا

مَا الذي ضَرَّكَ لَو أَبْـ ... ـقَيتَ فِي الكَأسِ بَقِيّا

أَتَـــــــــــراني مِثـــــــــــلَ أَو لا   كَيفَمـــــا قَـــــد قيـــــلَ فِيَّـــــا

الرِّضا بأن حبيبه يخطر في قلبه

قال ابن الدمينة:

لَـــئِن سَــــاءَنِي أن نلْتَـــنِي بِمُسَــــاءَةٍ   لَقَـــدْ سَـــرَّنِي أَنِّيَ خَطَــرتُ بِبَالِـــكَ

وقال:

رَضِـيتُ بِسَـعْيِ الـوَهْمِ بَيْـنِي وَبَيْنَـهُ   وَإن لَمْ يَكُـنْ فِي الوَصْـلِ مِنـهُ نَصِـيب

الرضا بأن ينظر أرض حبيبه

يَقَـــرُّ بعَيـــنِيَ أنْ أرَى مِـــن مكَانِهَـــا   ذُرَى عقْـــدَاتِ الأبـــرَقِ المُتَقَـــاوِدِ

وِإِنْ أَرَادَ المَـــاءَ الـــذِي شَـــرِبَتْ بِـــهِ   سُـلَيْمَى وَقَـدْ مَـلَّ السَّـرَى كُـلُّ وَاحِـدِ

وَأُلصِـــقْ أَحْشَـــائِي بـــبُرْدِ تُرَابِـــهِ   وإن كَـــانَ مَمْزُوجًـــا بسُـــمِّ الأسَـــاوِدِ

الرِّضا بكونه مع الحبيب في الدنيا

قال الشاعر:

قال أبو نواس: أرضى الناس قيس بن ذريح في قوله:

أَلَـــيسَ اللَّيـــلُ يَجمَعُـــنِي وَلَيلَـــى   أَلَا يُكتَفَـــي بـــذَلِكَ مِـــنْ تَـــدَانِ

تَـــرَى وَضْـــحَ النَّهَـــارِ كَمَـــا أَرَاهُ   وَيَعْلُوهَـــا الظَّـــلَامُ كَمَـــا عَـــلَانِي

من حبيبه مناه

قال الشاعر:

وَلمــا نَزلنــا مـــترلًا طلَّـــه النَّـــدَى   أَنيقًـــا وبســـتانًا مـــن النُّـــورِ حاليًـــا

أجـدَّ لنـا طيـبُ المكـانِ وحسـنه مـنًى فتمنينـا فكنـتَ الأمانيَـا

تمني مجاورته

قال الشاعر:

تَمَنَّيـتُ فِي عَـرضِ الأمَـانِي وَرُبَّمَـا تَمَـنَّى الفَـتى أُمنِيَـةً ثُمَّ نَالَهَـا

أَلَا لَيْـتَ سَـعدِي جَـاوَرَتْنِي حَيَاتُهَـا فَـتَعْلَمُ مَـا حَـالِي وَأعْلَـمُ حَالَهَـا

من أحب أن يجتمع بحبيبه وإن كان في شقاء

قال ديك الجن:

أَلَا ليتنـا كُنَّـا جَميعَـيْنِ فِي الهَـوَى تُضَـمُّ علينـا جَنَّـةٌ أَوْ جَهَـنَّمُ

الرضا من حبيبه بالأماني

قال كُثير:

وَإِنِّي لَأرضـى مِـن نَوالِـكِ بِالـذي لَـو أَبصَـرَهُ الواشـي لَقَـرَّت بَلابِلُـه

وقال كشاجم:

ضَـنَّتْ بموعـدِهَا فقلـتُ لهـا يا هـذه فعِـدي بأنْ تَعِـدي

انتظار وعد الكاذب

قال جحظة:

يَا كـاذِبًا فِي وَعـدِهِ بِلِسـانِهِ مَـن لي بِمَـصٍّ لِسـانِكَ الكَـذَّابِ

مـا زِلـتُ مُنتَظِـرًا لِوَعـدِكَ مُفـرَدًا بِالبَيـتِ مُرتَقِبًـا لِقَـرعِ البـابِ

قطع الأوقات بالأماني

قال ابن المعتز:

يَا مـانِعَ الْعَـينِ طِيـبَ رَقْـدَتِهَا وَمَـانِحَ الجِسْـمِ كَثْـرَةَ الْعِلَـلِ

عَلَّمَـــنِي حَبُّــكِ المُقَــامَ عَلَــى   الضَّــيمِ وَقَطْــعَ الأَيَّامَ بِالأَمَــلِ

من يسمح بخياله ويضن بوصاله

قال البحتري:

أَهــلًا بزائِــرِنا المُلِــمِّ لَــوَ أَنَّــهُ   عَــرَفَ الــذي يَعتــادُ مِــن إلمامِــهِ

جَـذلانَ يَسـمَحُ في الكَـرى بِعِناقِـهِ   وَيَضُــنُّ في غَــيرِ الكَــرى بِسَــلامِهِ

وقال أحمد بن أبي طاهر:

فَبِــتُّ بِهــا ضَــيفًا مُقيمًــا بِرَحلِــهِ   وَباتَـت بِنـا طَيفًـا يُثيـبُ وَمـا يَـدري

فَـزَارَت وَمـا زارَت وَجـادَت وَلَمْ تَجُـد   وَواصَلَ عَنها الطيفُ وَهيَ عَلى هَجرِ

وقال ابن المعتز:

شَــفانِي الخَيَــالُ بِــلا حَمْــدِهِ   وَأَبْــدَلَنِي الوَصــلَ مِــن صَــدِّهِ

وَكَــمْ نَوْمَــةٍ لِيَ قَــوَّادَة   أَتَــتْ بِالحَبِيــبِ عَلَــى بُعْــدِهِ

وقال كشاجم:

ضَــنَّتْ بِمَوْعِــدِهَا فَقُلْــتُ لَهَــا   يَا هَــذِهِ فَعِــدِي بِأَنْ تعِــدِي

من منع خياله بتسليط السهاد على محبه

قال الشاعر:

فَكَــانَ يَــزُورُنَا مِنــهُ خَيَــالٌ   فَلَمَّــا أنْ جَفَــا مَنــعَ الخَيَــالَا

قال ابن يحيى المنجم:

بِأَبِي أنــتَ لِمَ جَفَــانِي خَيَــالٌ   لَــكَ قَــد كُنــتُ أَسْــتَرِيحُ إِلَيــهِ

أَرشَـــدَنِي إِلَى خَيَالِـــكَ كيمـــا   أتقَاضَـــاهُ مَوعِـــدًا لِي عَليـــه

قال أبو فراس الحمداني:

كَيــفَ السَــبيلُ إِلى طَيــفٍ يُــزاوِرُهُ   وَالنَــومُ فِي جُملَــةِ الأَحبَــابِ هــاجِرُهُ

بغض طيف ذي هجران

قال المتنبي:

إِنِّي لأُبغِــضُ طَيــفَ مَــن أَحبَبتُــهُ   إِذ كــانَ يَهجُــرُنا زَمــانَ وِصــالِهِ

قال المهلبي:

إِنَّمَـــا الطَّيـــفُ المُلِـــمُّ   فَــــرَحٌ يَتلُـــوُه هَــــمُّ

قَلَّمَـــا يُحْمَـــدُ أَمْــــرٌ   لَــيسَ فِيـــهِ مَـــا يُـــذَمُّ

قالت عابدة المهلبية:

خَطَبْــتُ خَيَالَــهُ فَــإِذَا خَيَــالٌ   مُطَــوَّلُ مِثْــلُ صَــاحِبِهِ بَخِيــل

فَــإِنَّ تَــوَقُّعِي طَيْفًــا جَــوَادًا   وَصَـــاحِبُهُ بَخِيـــلٌ مُسْـــتَحِيل

من زار الخيال بالفكر

قال أبو تمام:

نِمْ فَمَـــا زَارَكَ الخَيَـــالُ وَلَكِنَّـــ   ـــكَ بِالْفِكْـرِ زُرْتَ طَيْــفَ الخَيَــالِ

قال المتنبي:

لَا الحُلْــمُ جَــاءَ بِــهِ وَلَا بِمِثالِــهِ   لَــوْلَا ادِّكَــارُ وَدَاعِــهِ وَزِيَالِــهِ

إِنَّ المُعِيــدَ لَنَــا المَنَــامُ خَيَالَــهُ   كانــت إعادتــه خيــال خيالــه

بِتْنَــا يُنَاوِلُنَــا المُــدَامَ بِكَفِّــهِ   مَــن لَّــيسَ يَخطُــرُ أَن نَّــرَاهُ بِبَالِــه
فَــدَنَوْتُمُ وَدُنُــوُّكُمْ مِــنْ عِنْــدِهِ   وَسَمَحْــتُمْ وَسَمَــاحُكُم مِــنْ مَالِــه

من أسهر خيال حبيبه

قال علي بن يحيى:

زَارَنِي طَيْــفُ الخَيَــالِ فَمَــا   زَادَ أَنْ أَغْــرَى بِيَ الأَرَقَــا

قال الفرزدق:

شَـبَتْ لِعَيْنِـكِ سَـلْمَى عِنْـدَ مَقْفَاهَـا   فَبِـتُّ مُنْزَعِجًـا مِـن بَعْـدِ مَرْآهَـا
وَقُلـتُ أَهْـلًا وَسَـهْلًا مَـا هَـدَاكِ لَنـا   إِنْ كُنْــتِ تِمْثَالَهَــا أَوْ كُنْــتِ إِيَّاهَــا

من تمنى المنام لأجل لقاء الخيال

قال قيس بن ذريح:

وإِنِّي لأَهْـوَى النَّـوْمَ مِـنْ غَـيْرِ نَفسِـهِ   لَعَــلَّ لِقَــاءً فِي المَنَــامِ يَكُــونُ
تُخَــبِرُنِي الأَحْــلَامُ أَنِّي أَرَاكُــمُ   فَيَــا لَيْــتَ أَحْــلَامَ المَنَــامِ يَقِــينُ

المخافة من تهدد الطيف

قال الشاعر:

رَجَـا رَاحَـةً فِي النَّـوْمِ حَـتَّى إِذَا غَفَـا   أَتَـى طَيْـفُ مَـنْ يَهْـوَى يُهَـدِّدُ بِالْهَجْرِ
فَقَــامَ يُنَــادِي وَالــدُّمُوعُ بَــوَادِرُ   أَيَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَى قَتلْتَ وَلَا تَدْرِي

من ذكر تسلِّيه عن محبوبه بما لا يسلى به

قال كثير:

وَلَمَّــا أَبَى إِلا جِمَاحًــا فُــؤَادُهُ   وَلَمْ يَسَـلْ عَـنْ لَيْلَـى بِمَـالٍ وَلَا أَهْـلِ
تَسَـلَّى بِأُخْـرَى غَيْرِهَـا فَـإِذَا الـتِي   تَسَـلَّى بِهَـا تُغْـرِي بِلَيْلَـى وَلَا تُسْـلِي

قال البحتري:

وَقَــالُوا تَجَنَّبْهَــا تَفِــقْ فَاجْتَنَبْتُهَــا ... زَمَـانًا فَمَـا أَسْـلَى فُـؤَادِيَ التَّجَنُّـبُ

وَقَـالُوا تَقَـرَّبْ يُخْلَـقُ الحُـبُّ أَوْ تَجِـدْ ... عَلَالَــةَ قَلْــبٍ فَــاخْتَلَانِي التَّقَــرُّبُ

امتناع النفس من الرجوع إلى من أبغضه

قال العباس:

رَدُّ الجِبَــالِ الرَّوَاسِــيَ عَــنْ أَمَاكِنِهَــا ... أَخَـفُّ مِـن رِدِّ نَفْسِـي حِينَ تَنْصَـرِفُ

قال الشاعر:

إِنَّ قَلْـــبِيَ أَعَـــزُّ مِـــنْ أَنْ تَـــرَاهُ ... فِي مَحَـــلِّ الْهَـــوَى لِقَلْبِـــكَ عَبْـــدَا

الراغب في محبوبته

كتب أبو نواس لما خرج من بغداد:

أَلَا قُــــــــلْ لِأَخِلَّائِــــــــي ... وَمَــــنْ هُمْــــتُ بِهِــــمْ وَجْــــدَا

شَــــــرِبْنَا مَــــــاءَ بَغْــــــدَادَ ... فَأَنْسَــــــــــــانَاكُم جِــــــــــدَّا

خُـــــذُوا مِنَّــــا فَــــإِنَّا قَــــدْ ... وَجَـــــدْنَا مِــــــنْكُمْ بُــــــدَّا

وَلَا تَرْعَــــــوْا لَنَــــــا عَهْــــــدًا ... فَمَــــا نَرْعَــــى لَكُــــمْ عَهْــــدَا

قال كثير:

فَـإِنْ سَـأَلَ الْوَاشُـونَ فِـيمَ هَجَـرْتُهُمْ ... فَقُـلْ نَفْـسُ حُـرٍّ سُـلِّيَتْ فَتَسَـلَّتْ

التسلي عمن رغب في غيرك

قال الخبزارزي:

اذْهَــبْ وَهَبْتُــكَ لِلَّــذِينَ اخْتَــرْتَهُمْ ... هِبَـــةَ الْكَـــرِيمِ فَإِنَّـــهُ لَا يَرْجِـــعُ

وقال أبو الشيص:

إِذَا لَمْ تَكُـنْ طُـرُقُ الْهَـوَى لِي ذَلِيلَـةً تَنَكَّبْتُهَـا وَانْحَـزْتُ لِلْجَانِـبِ السَّـهْلِ
وَمَـا لِيَ أَرْضَـى مِنْـهُ بِالْجَوْرِ فِي الْهَـوَى وَلِي مِثْلُـهُ أَلْـفٌ وَلَـيْسَ لَـهُ مِثْلِـي

استدعاء القلب إلى التسلي

قال بشار:

وَقَـدْ رَابَـنِي قَلـبٌ يُكَلِّفُـنِي الصـبا وَمـا كُـلِّ حينٍ يَتبَـعُ القَلـبَ صَـاحِبُه

قال شاعر:

إِذَا اجْتَمَـعَ الْجُـوعُ الْمُبَـرِّحُ وَالْهَـوَى عَلَـى الرَّجُـلِ الْمِسْـكِينِ كَـادَ يَمُـوتُ

قال جميل:

أَتَــوْنِي وَقَــالُوا يَا جَمِيــلُ تَبَــدَّلَتْ بُثَيْنَـــةُ أَبْـــدَالًا فَقُلْـــتُ لَعَلَّهَـــا
وَعَـلَّ حِبَـالًا كُنْـتُ أَحْكَمْـتُ عَقْـدَهَا أُتِــيحَ لَهَــا وَاش رَقِيــقٍ فَحَلَّهَــا

قال شاعر:

طَلَبْنَـا دَوَاءَ الْحُـبِّ يَوْمًـا فَلَـمْ نَجِـدْ مِـنَ الْحُـبِّ إِلَّا مَـنْ يُرِيـدُ مُـدَاوِيَا

قال عبد الله بن طاهر:

وَكُــلُّ مُحْــبٍّ جَفَــا مَــن يُحِــبُّ جَفَتْـــهُ السَّــــلَامَةَ وَالْعَافِيَـــةَ

قال الخبزارزي:

ظَـبْيٌ تَفَلَّـتَ مِـنْ حَبْلِـي فَـأَوْقَعَنِي فِي حَبْلِــهِ أَنَّ فِي عَيْنَيْــهِ لِي شَــرَكَا

استفتاء فقيه في الهوى

قال أبو العالية:

سَـلْ الْفَـتَي المكِّـيَّ هَـلْ فِي تَـزَاوُرْ وَضَـمَّةِ مُشْـتَاقِ الْفُـؤَادِ جَنَـاحُ
فَقَـالَ مَعَـاذَ اللهُ يُـذْهِبُ التُّقَـى تَلَاصُـقُ أَحْشَـاءٍ بِهِـنَّ جِـرَاحُ

ومما قيل في كثرة العتاب

لَـوْلَا كَرَاهِيَـةُ الْعِتَـابِ وَأَنَّـنِي أَخْشَـى الْقَطِيعَـةَ إِنْ ذَكَـرْتُ عِتَـابَا
لَـذَكَرْتُ مِـنْ عَثَـرَاتِكُمْ وَذُنُـوبِكُمْ مَـا لَـوْ يَمُـرُّ عَلَـى الْفَطِـيمِ لَشَـابَا

القسم الخامس

في بعض منظومات لجامع الكتاب

قال في صباه:

رَعَــى اللهُ أَيَّامَ الصِّــبَا مَــا أَلَــذَّهَا وَأَلْطَفَ ذِكرَاهَا عَلَى مَسْمَعِ الصَّبِّ
تَقَضَّــتْ وَأَغْصَــانُ الحَيَــاةِ جَنِيَّــةٌ فَمَا كَانَ لِيَ مِنْهَا سِوَى ثَمَرُ الحُبِّ
ثِمَارُ لَعَمْرِي لَمْ يَذُقْهَا آخِرَ الهَوَى عَلَى البُعْدِ إلا هَامَ شَوْقًا إِلَى القُرْبِ
هُـوَ الحُـبُّ لَا لَفْـظٌ يَقَـالُ وَإِنَّمَـا عَوَاطِفٌ يَهدِيهَا العَفَافُ عَلَى القَلْبِ
وَيَنقُـلُ مَعْنَاهَـا إِلَى صُـحُفِ الْهَـوَى لِحَـاظ تَعَـوَّدنَ الكِتَابَـةَ بِالهـدْبِ
فَمَن لَّمْ يَذُقْ طَعْمَ الغَرَامِ وَمَا عَسَى يُلَاقِيهِ أَهْلُ العِشْقِ مِنْ أَلَمِ الكَرْبِ
وَرَاجِعْ مَا قَدْ خُطَّ فِي صَفَحَاتِهِ إذن لَبَكَى الْعُشَّاقُ بِالمَدْمَعِ الصَّبِّ

وقال:

زُرتُهَـا وَالفُـؤَادُ بِالحُـبِّ طَـافِحُ فَأَفَاضَـتْ مِـنِّي الـدُّمُوعُ الفَوَاضِـحُ
ظَبيَـةٌ بَـينَ لَحظِهَـا وَفُـؤَادِي كَـمْ مُحِـبٌّ غَـدَا لعَمـرِي يُكَـافِحُ
وَهُـوَ كَالغُصـنِ بَـينَ بِـيضِ الصَّـفَائِحِ حَيثُمَـا يَنثَـنِي يُصَـادِفُ جَـارِحُ
لَـيس بِـدعُ فَلَحظُهَـا ذُو نِبَـالٍ وَفُـؤَادِي مُـدرَّعٌ بِالجَـوَارِحِ

وقال يصف ليالي العمر:

أَمَا وَلَيَالِي الْبَدْرِ فِي الخَمْسِ وَالعَشْرِ تَمِيسُ بِهَا الغَادَاتُ خِصْرًا عَلَى خِصْرِ
وَعِفَّـةٌ بُـثنَ إِذْ تَنَـاجَى جَمِيلُهَـا بِرَائِـقِ لَفْـظٍ دُونَـهُ رِقُّ الخَمْـرِ

وَلَيلٍ سَرَى العُشَّاقُ فِي ظُلُمَاتِهِ وَقَدْ ثَمِلُوا مِنْ عَذْبِ مبسَمِهَا الدُّرِي

وَصَوْلَةُ نَابُليُونَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَحِكْمَةُ لُقْمَانَ وَأَيْدِي ذي البَرِّ

وَمَثْوَى كِرَامٍ أَيْنَعَتْ فِي ظِلَالِهِمُ ثِمَارُ النَّدَى إِنَّ اللَّيلَ فِي مِصْرِ

لَأَزْهَى مِنَ الزَّهْرِ المُنِيرَةُ أَنَّمَا بِمَا فَوقَ تِلكَ القُبَّعَاتِ مِنَ الزَّهْرِ

أَزَاهِرُ تَحْكِي وَهِيَ بَيْنَ غُصُونِهَا خُدُودُ ظِبَاءَ لَحْنٍ فِي الحُلَلِ الخُضْرِ

أَجَلَّتْ بِهِنَّ الطَّرْفُ لَيلًا فَخَلَّتنِي وَأَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ فِي لَيلَةِ القَدْرِ

لَيَالٍ حَوَتْ مِن كُلِّ غَادٍ لِغَادَةٍ هِيَ الشَّمسُ لَولَا هَالَةٌ مِنْ دُجَى الشِّعْر

إِذَا مَا أَرَتْنَا السِّحرَ مِنْ لَحَظَاتِهَا سُقُتنَا حِمِيَا الحُبُّ مِنْ ذَلِكَ السِّحْرِ

وَإِنْ هِيَ مَالَتْ فَالْقُلُوبِ لِحُسنِهَا تَمِيلُ وَإِن لَامَتْ فَمَا لَكَ مِنْ عُذْرِ

وَمِن كُلِّ حَسْنَاءَ انثَنَتْ لِحَبِيبِهَا فَكَانَتْ وَإِيَّاهُ كَحَرْفَينِ فِي سَطْرِ

وَكَانَتْ وَكَانَتْ مَا لَنَا وَلعَذْلِهَا فَمَا هِيَ إِلَّا لُعبَةٌ فِي يَدِ الْفَقْرِ

تَنَاجِي فَتَاهَا لَا لِمَيلٍ وَأَنَّمَا لِمَالٍ بِهِ تَنْجُو مِنَ الْعُسْرِ

وَتُنَظِّمُ مِنْ آيِ الغَرَامِ بقَدْرِ مَا سَتَنْثُرُ كَفَّاهُ مِنَ البِيضِ وَالصُّفرِ

وَتَبسمُ حَتَّى لَا تَرَى غَيرَ بَاسِمٍ وَتَبْكِي وَلَكِنْ دَمْعُهَا فِي الحَشَا يَجْرِي

لَقَد لَامَكَ الفِتْيَانُ جَهْرًا وَحَبَّذَا هُوَ اللَّومُ لَولَا مَيلُهُمْ لَكَ فِي السِّرِّ

فَهُمْ أَفْسَدُوا بِالْمَالِ قَلْبَكَ إِذْ غَدَوْا وَقَدْ عُوِّضُوا مِنكِ الفُؤادُ وَلَمْ تَدرِ

وَلَمْ يَكْتَفُوا حَتَّى أَنْثَوا وَطُلَّابُهُمْ لَعَمرُ الهَوَى مَا لَيسَ يجمُلُ بِالحُرِّ

فَكُنتُ لَهُمْ طَوْعَ البَنَانِ وَمَن يَذُقْ مِنَ الدَّهْرِ كَأسَ الفَقْرِ يَخشَ رَدَى الدَّهْرِ

عَلَى أَنَّهُمْ لَو أَنْصَفُوا أَجْزَلُوا لَكُـ ... ـمُ العَطَاءَ وَلَا دِينٌ عَلَيكَ سِوَى الشُّكرِ
وَسُرُّوا بِأَنْ زَانُوا بِيضَ أَكفِّهِمْ ... بَيَاضَ التُّقَى لَا سَوَّدُوا جَبهَةَ الطُّهْرِ
وَكُنتُ وَكَانُوا فِي ائتِلافِ يُزِينُهُ ... عَفَافٌ كَثُغْرٍ زَانَهُ مَا عَلَى الثُّغْرِ
وَرُحْتُ إِذَا مَا لُحْتُ يومًا لِعَاشِقٍ ... صَفَا وُدُّهُ نَادَاكِ يَا رَبَّةَ الخِدْرِ
وَلَو أَنَّ لُقيَا القَبرِ دُونَ لُقَا ثَرَى ... حِمَاكَ أَنتَنِي شَوقًا إِلَى ذَلِكَ الْقَبْرِ
فَحَسْبُكَ بَلْ حَسْبُ الْمُحِبِّينَ أَنَّهُم ... إِذَا عَشِقُوا مَاتُوا أسَى فِي الْهَوَى العُذْرِي

وقال مرتجلًا في وداع صديق:

وَدَاعُكُمْ وَاللهِ أَوْدَعَ مُهْجَتِي ... ضِرَامًا حَكَتْ نَارَ المَجُوسِ فَأَضْنَتِ
وَمَاذَا عَسَى يُجْدِي الْوَدَاعُ وَنِصْفُهُ ... بُكَاءٌ وَشَكْوَى وَازْدِيَادَ تَعِلَّةِ
فَبَلِّغْ سَلَامِي جِيرَةٌ قَدْ عَرَفْتُهَا ... عَلِيلًا وَكَانَتْ فِي الهَوَى أَصْلَ عِلَّتِي

وقال في حادثة واقعية تحت عنوان «غدر الحبيب»:

غَدَرَتْ فَغَادَرَتِ الفُؤَادَ عَلِيلًا ... هَيْفَاءَ أَبدَتْ لَحْظَهَا المَسْلُولا
وَرَمَتْ شِبَاكَ لِحَاظِهَا وَإِذَا بِهَا ... صَدَّتْ فَتَى دَنفَ الفُؤَادِ نَحِيلَا
يَحْكِي مُعَاطِفُهَا بِرِقَّةِ قَلْبِهِ ... وَبِلُطْفِهِ يَحْكِي النَّسِيمُ عَلِيلَا
مَا ضَلَّ بَينَ دُجَى غَدَائِرِ شَعْرِهَا ... حَتَّى رَأَى بِسَنَا العُيُونِ دَلِيلَا
فَأَتَى حِمَاهَا زَائِرًا مُتَسَتِّرًا ... بِذَوِيهِ يَخْشَى فِي الْغَرَامِ عَذُولَا
حَتَّى إِذَا حَانَ الرَّحِيلُ وَصَافَحَتْ ... تِلكَ الْفَتَاةُ مُحِبَّهَا الْمَجْهُولَ
شَعَرَتْ بِضَمِّ أَنَامِلٍ مَا ضَمَّنَتْ ... غَيرَ الغَرَامِ وَحَسْبُهَا تَعْلِيلَا

فَـدَرَتْ بِمَـا فِي قَلْبِـهِ وَهَـوَتْ بِيُسْـ ـــرِهَا عَلَيْـهِ وَقَـدْ حَكَـتْ إِكْلِـيلَا

قَالَـتْ حَبِيـبِي قَـدْ أَثَـرْتَ بِمُهْجَـتِي نَارًا وَهَـــاكَ يَــدِي تَمِيـــلُ ذُبُـــولَا

فَأَخْمَـدَ لِظَاهَـا مِـن فُـؤَادِي قَـالَ لَـوْ أَخْمَـــدتُّهَا بِـــدَمِي لَكَـــانَ قَلِـــيلَا

وَغَـدَا يَبُـثُّ لَهَـا الْغَـرَامَ بُعَيْـدَ مَـا ضَـاقَ الْمُقَـامُ بِـهِ وَخَـافَ القِـيلَا

بِرُوَايَـــةٍ وَرَدَتْ لَهَـــا مِنْـــهُ وَقَـــدْ كَانَــتْ بِهَــا جُمَــلُ الْغَــرَامِ ذُبُــولَا

وَأَتَـى حَبِيبَتُـهُ وَقَـدْ عَـبُسَ الـدُّجَى إِذْ خَــالَ فِي بَــدْرِ السَّـمَاءِ أُفُــولَا

وَكَـأَنَّ ذَاكَ الْبَــدْرَ وَلَّى مُــذْ بَــدَتْ شَمْـــسُ الْحَبِيبَـــةِ خَاشِـــعًا مَخْـــذُولَا

وَغَـدَا وَقَـدْ نَثَـرَ الـدُّمُوعَ كَوَاكِبًـا تَـذْرَى بِـدَمْعِ السُّحْبِ فَـاضَ سُيُولَا

حَـتَّى إِذَا اجْتَمَعَـا وَسَـاءَلَهَا الـذِي تَهْـــوَاهُ كَـــانَ جَوَابُهَـــا التَّقْبِـــيلَا

وَلَكَــــمْ وَدَدْتُ بِأَنْ أَرَانِي سَـــــائِلًا يَومًـــا وَأَلْتَقِـــي ذَلِـــكَ الْمَسْـــئُولَا

أَوْ أَنْ تَكُـــونَ طَبِيبَـــتِي فِي عِلَّـــةٍ أَغْــدُو بِهَــا طُــولَ الْحَيَــاةِ عَلِــيلَا

أَوْ أَنْ أُبَارِزُهَـــا فَتَلْقِيـــنِي بِنبـــلِ لِحَاظِهَا فَـوْقَ عَـزَائِمِهِمْ عَلَـى مَا قِيلَا

وَغَـدَوْا إِلَى أَهْـلِ الْفَـتَى فَوَشَـوْا بِـهِ لَكِـــنَّهُمْ لَمْ يَصْـــدُقُوا التَّفْصِـــيلَا

قَـــالُوا رَأَيْنَـــاهُ وَإِيَّاهَـــا عَلَـــى دَرَجَـاتِ سُـلُّمِهَا يَهَـابُ دُخُـولَا

حَـــتَّى إِذَا بَلَغَـــتْ مَسَـــامِعَ أَهْلِـــهِ تِلْـكَ الْوِشَـايَةِ أَكْثَـرُوا التَّـأْوِيلَا

وَتَبَـــدَّلَتْ تِلْـــكَ الْمَـــوَدَّةُ بَيْـــنَهُمْ بِالْحِقْـدِ أَنَّ الْمَـرْءَ كَـانَ عَجُـولَا

وَرَأَى الْمُحِـــبُّ أُهَيلَـــهُ فِي عَذْلِـــهِ لَجُّــوا وَمَــا عَــذَرُوا فَــرَامَ رَحِــيلَا

هَـــذَا وَجَـــاذِبُ قَلْبِـــهِ يَقْتَـــادُهُ حِينًـــا فَيَدْفَعُـــهُ الآبَاءُ ذَلِـــيلَا

وَدَرَتْ حَبِيبَتُهُ فَهَاجَ كلُومُهَا ... هَجْرٌ رَأَتْهُ لِلشَّقَاءِ سَبِيلَا
لَكنَّهَا كَتَبَتْ كِتَابًا للْحبيبِ ... وَأَوْدَعَتْهُ مِنَ الغرَامِ فُصُولَا
فَرَأَى بِذَيَّاكَ الكِتَابِ حَبِيبُهَا ... مَارِقَ أَلْفَاظِهَا وَرَاقَ أُصُولَا
وَغَدَا إِلَيهَا فِي الغَدَاةِ وَقَلْبُهُ ... أَمسَى بِقَيدِ غَرَامِهَا مَغْلُولَا
وَإِذَا بِهَا تَبْكِي فَقَالَ حَبِيبَتِي ... رِفْقًا بِطَرْفِكِ لَا يَزَالُ كَلِيلَا
قَالَتْ وَكَيفَ يَطِيبُ لِيَ بَعدَ النَّوَى ... عَيشٌ وَلَمْ أَلْقَ سِوَاكَ خَلِيلَا
فَأَجَابَهَا وَالْقَلْبُ مِن لَحْظَاتِهَا ... مُدْمًى كَفَاكِ مِنِّي الْفُؤَادُ عَوِيلَا
قَالَتْ وَأَنَّ لِي وَآيُ مَدَامِعِي ... فِي صُحُفِ خَدَّيَّ نُزِّلَتْ تَنْزِيلَا
وَقَضَى الْغَرَامُ عَلَيْهِمَا فَتَعَاهَدَا ... مُسْتَشْهِدَيْنِ مُعَاهِدًا وَطَلُولَا
وَتَبَادَلَا خُصْلَاتِ شَعْرٍ عَلَّهَا ... يَوْمًا تَكُونُ مِنَ القُلُوبِ بَدِيلَا
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْضِ أُسْبُوعٌ عَلَى ... سَفَرِ الْمُحِبِّ وَكَانَ ذَاكَ طَوِيلَا
حَتَّى أَتَتْهُ مِنَ الْحَبِيبِ رِسَالَةٌ ... فِيهَا نَسِيمُ الْحُبِّ فَاحَ قَبُولَا
فَتَلَا بِهَا مَا لَوْ تُلِيَ يَوْمًا عَلَى ... غُصْنٍ ذَوَى لَهَذَا الغُصَين بَلِيلا
أَوْ لَوْ تُلِيَ مَا بَينَ أَرْبَابِ الْهَوَى ... لَغَدَتْ مَدَامِعُهُمْ تُحَاكِي النِّيلَا
وَأَضَاعَ خُصْلَةَ شَعْرِهَا يَوْمًا فَرَا ... حَ عَلَى حِمَاهَا ذَاهِلًا مَتْبُولَا
قَالَت تَضِيعُ إِذَن فُؤَادِي مِثْلُهَا ... فَعَلَامَ تَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ حِلِيلَا
فَأَجَابَ كَلَّا مَا ذَكَرْتُكِ مَرَّةً ... وَلَثَمْتُهَا إلا شُفِيتُ غَلِيلَا
فَرَمَتْ إِلَيهِ بِخُصْلَةٍ أُخْرَى وَقَا ... لَتْ مَا عَهِدتُّ أَخَا الغَرَامِ بَخِيلَا

وَتَفَارَقَا حِينًا وَإِذْ هُوَ جَالِسٌ ... يَوْمًا بِغُرْفَتِهِ وَكَانَ أَصِيلَا

وَإِذَا بِوَاسٍ قَالَ تَزْهَيدًا لَهُ ... لِلْغَيْرِ قَدْ مَالَتْ فَصَاحَ ذُهُولَا

بِئْسَ الْمَحَبَّةُ لَا يَكُونُ حَلِيفُهَا ... صِدْقًا بِهِ يَغْدُو الْمُحِبُّ جَمِيلَا

وَبَدَا بِقَطْعِ رَسَائِلٍ كَانَتْ دَوَاءً ... إِلَّا لِدَاءِ العَاذِلِينَ مُزِيلَا

أَمَّا حَبِيبَتُهُ فَلَمَّا آنَسَتْ ... ذَا الصَّدِّ رَامَ فُؤَادُهَا التَّحْوِيلَا

وَصَبَتْ إِلَى صَبٍّ سِوَاهُ وَهَكَذَا ... حُبُّ النَّوَاعِسِ لَا يَدُومُ طَوِيلَا

وَدَرَى الْمُحِبُّ بِأَمْرِهَا هذَا وَمَا ... كَادَ الوُشَاةُ لَهُ فَعَافَ مَقِيلَا

وَغَدَا إِلَيْهَا يَرْتَجِي عَفْوًا عَنِ ... الْمَاضِي بِأَلْفَاظٍ تَطِيبُ شُمُولَا

فِي مَجْلِسٍ كَانَتْ رَسَائِلُهُ الْهَوَى ... الْعُذْرِيُّ وَكَانَ اللَّحْظُ فِيهِ رَسُولَا

لَكِنَّهُ لَمْ يَجْنِ مِنْ غُصْنِ الْهَوَى ... ثَمَرًا سِوَى الإِعِرَاضِ حَتَّى عِيلَا

وَثَنَى مَعَاطِفَهُ وَلَكِن مثْلَمَا ... يَنِيَ الذُّبُولُ الغُصْنَ ذَابَ نُحُولَا

يَشْكُو الْحَبِيبَ وَلَيْسَ يَشْكُو غَدْرَهُ ... حَذِرًا عَلَيْهِ بِأَنِ يَعُدُّهُ خَذُولَا

فَأَتى إِلَيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ... لَمَّا رَأَوْهُ بِحُبِّهَا مَشْغُولَا

قَالُوا اثْنِ عَنْهَا الْقَلْبَ إِنَّكَ وَاجِدٌ ... أَلَا لِنَفْسِكَ أن فَقَدتَّ مَثِيلَا

فَأَجَابَهُمْ وَالحُبُّ يِنظُمُ نَثْرَ مَدْ ... مَعِهِ بَيْتًا قَالَهُ تَرْتِيلَا

مَن كَانَ لَا يُهِينُهُ إِلَّا مَرِيمُ ... أَنَّى يَطِيبُ لَهُ لِقَاءَ أَدِيلَا

وقال يصف ظلمة البدر:

رَاحَ طَيْفُ الحَبِيبِ يَسْعَى إِلَيَّ ... شِبْهُ مُحَيَّاهُ سَابِحًا فِي الفَضَاءِ

فَــــرَآهُ بَـــيْنَ الْكَوَاكِـــبِ فَـــرْدًا مِثْلُـــهُ بَـــيْنَ عَـــالَمِ الأحْيَـــاءِ
فَـــانْثَنَى نَحْـــوَهُ وَغَـــادَرَ أَهْـــلَ الْـودِّ صَـرْعَى جَـوًى عَلَـى الْغَبْـرَاءِ
لَـو دَرَى الْبَـدْرُ بِالـذِي حَـلَّ فِيـهِ لَتَـــوَارَى عَـــنْ أَعْـــيُنِ الرُّقَبَـــاءِ
مَـا كَفَـى الغِيـدُ أَنَّهُـنَّ بُـدُورُ الأَرْضِ حَـتَّى حَلَلْـنَ بَـدْرَ السَّـمَاءِ

واقترح عليه بعضهم نظم بنبال اللحظ فقال على البديهة:

رَسَمْـتُ فُـؤَادِي خِشْـيَةً أَنْ يُذِيبُـهُ جَمَـالُ مُحَيَّـاكُمْ فَأَغْـدُو بِـلَا قَلْـبِ
وَلَا تَعْجَبُـوا مِـنْ طَعْنَـةٍ يَخْـرِقُ الْحَشَـا بِـلَا طَـاعِنٍ جَـانٍ فَـذِي طَعْنَـةُ الْحُـبِّ
وَمَـا رَسَمَـتْ هَـذَا الفُـؤَادُ أَنَامِلِـي وَلَكِـن نِبَـالَ اللَّحْـظِ قَـدْ رَسَمَـتْ لُبِّي

وقال في مثل ذلك:

طَعَنْـتُمْ فُـؤَادِي قَبْـلَ طَعْـنِي فُـؤَادَكُمْ وَلَمْ أَدْرِ مَـــاذَا جَـــلَّ مُـــرَادُكُمْ
فَإِنْ كَـانَ هَـذَا لَا طَعْـنَ يَفِـي بِعَـادِكُمْ فَيَـا حَبَّـذَا طَعْـنٌ بَـدَا مِـن لِحَـاظِكُمْ

فَأَدْمَى فُؤَادًا كَادَ يَقْضِي أَسَى بِكُمْ

وفي قصيدة عنوانها: «صريع الكأس»

هَيْفَـاءُ مَـا أنَ عَادَهَـا طَيْـفُ الْهَـوَى حَـتَّى غَـدَتْ طَيْفًـا أَرَقَّ مِـنَ الْهَـوَا
عَبَثَـتْ بِهَـا أَيْـدِي النُّحُـولِ فَشَـابَهَتْ بِحَوْلِهَـا قَلْـبِي وَبِاللُّطْـفِ الـدُّمَى
لَمْ يَجْـنِ ذَّاكَ سِـوَى زِيَارَةِ جِـيرَةٍ زَارَتْ بِهَا الأَشْجَانَ مِنْ لَحْظَي فَـتَى
شَـجَنٌ تَضَـمَّنَهُ الْغَـرَامُ فَلَـمْ يَعُـدْ عَـنْ كَشْـفِهِ بُـدٌّ وَفِي الْكَـتْمِ الضَّـنَى
وَكَـأَنَّ ذَيَّاكَ الْفَـتَى لَمَّـا رَأَى مِنْهَـا الشُّـجُونَ عَـرَاهُ مِنْهَـا مَـا عَـرَا

فَأَتَى مُطِيعًا لِلْغَرَامِ وَإِنَّهُ   قَاضٍ لَهُ الأَقْدَارُ تَعْنُو وَالقَضَا
وَأَبَاحَهَا الْوَجْدُ الْحَدِيثُ وَمَا دَرَى   أَنَّ الْفَتَاةَ تُحِبُّهُ فِيمَا مَضَى
فَدَنَتْ وَقَدْ صَبَغَ الحَيَاءُ جَمَالَهَا   وَرْدًا وَقَالَتْ مَا عَسَانِيَ أَنْ أَرَى
أُمْلِيكَ قَلْبِي إِنَّهُ ... فَقَالَ مُقَاطِعًا   لَا بَلْ أَسِيرُ جَمَالِكِ الْبَاهِي السَّنَا
فَالْحُبُّ لَا يَحْلُو لأَرْبَابِ الْهَوَى   حَتَّى يُرَافِقُهُ التَّذَلُّلُ وَالْعَنَا
وَمَضَى وَإِذْا شَاءَ الغَرَامُ تَعَاهَدَا   حِفْظًا لأَسْرَارِ الصَّبَابَةِ وَالْوَلَا
وَغَدَتْ تَضُمُّهَا الزِّيَارَةُ حَيْثُ لَا   وَاشٍ يَلُومُهَا عَلَى نَشْرِ الْهَوَى
وَأَتَتْ حَبِيبَتُهُ الْغَدَاةَ فَرَاقَهَا   مَا آنسَتْ فِي وَجْهِ ذَيَّاكَ الْفَتَى
نَظَرَتْ بِخَدَّيْهِ إِحْمِرَارًا وَهِيَ مِن   نَارِ الْهَوَى صَفْرَاءُ لَا تَدْرِي الْكَرَى
فَتَبَسَّمَتْ فَرَحًا وَخَالَتْ نَفْسُهَا   طَيْفًا لَدَيْهِ فَهَاجَ طَرْفَيهَا الْبُكَا
قَالَت تسَائِلُهُ بِدَمْعٍ لَمْ تَكُنْ   تخفَى خَفَايَاه عَلَى أَهْلِ النُّهَى
فَرَنا إِلَيْهَا قَائِلًا كُفِّي الْبُكَا   بِاللهِ وَأَبْدَي لِي حَقِيقَةَ مَا اخْتفَى
قَالَتْ حَبِيبِي مُنْذُ رَأَيْتُكَ بَادِئًا   تَزْهُو دِيكَ أَزْهَارِ الصِّبَا
وَرَأَيْتَنِي وَأَنَا حَبِيبَتُكَ التِي   شَجْوَى أَكَادُ أَذُوبُ حَرَّ الْجَوَى
أَصْبَحْتُ بَيْنَ الابْتِهَاجِ لِغُصْنِكَ   الزَّاهِي وَبَيْنَ الانْزِعَاجِ مِنَ الضَّنَى
فَدَنَا فَتَاهَا قَائِلًا لَا تَجْزَعِي   مَا دَامَ هَذَا الدَّاءُ يَنْفِيهِ الدَّوَا
دَاءٌ كَبَحْتُ جِمَاحَهُ بِتَرَشُّفِي   رِيقَ الْمُدَامَةِ دَائِمًا قَبْلَ الْغَدَا
هَذَا وَرَاحَ حَبِيبُهَا ثُمَّ أَثْنَى   تَغْشَى أَنَامِلَ كَفِّهِ كَاسُ الطَّلَا

وَدَنَا إِلَيْهَا بَاسِمًا فَتَبَسَّمَتْ ... عَنْ دُرِّ مَبْسَمِهَا الْمُوَرَّدِ بِالْحَيَا
ثُمَّ انْثَنَتْ نَحْوَ الْمُدَامِ كَذِي ضَنَى ... أَشْفَى فَصَارَ يَهِيمُ فِي طَلَبِ الشِّفَا
وَتَرَشَّفَتْ مِنْهَا الْقَلِيلُ فَرَاقَهَا ... مَا شَاقَهَا مِنْ عَذْبِ ذَيَّاكِ اللَّمَى
وَرَأَتْ بِأَنْ الرَّاحَ تَعْقُبُ رَاحَةً ... لِلْقَلْبِ فَارْتَاحَتْ عَلَى دَفْعِ الأَذَى
وَصَبَتْ إِلَى لَثْمِ الْكُئُوسِ وَقَدْ كَسَا ... رِيقُ الْمُدَامَةِ خَدُّهَا لَوْنَ الدِّمَا
هَذَا وَقَلْبُ حَبِيبِهَا مِنْ فَرْحَةٍ ... أَضْحَى يُرَفْرِفُ رَاقِصًا بَيْنَ الْحَشَا
حَتَّى إِذَا أَزِفَ الرَّحِيلُ وَأَظْلَمَتْ ... شَمْسُ اللُّقَا صَرْعَى بِأَسْيَافِ النَّوَى
رَاحَت تُوَدِّعُهُ فَأَوْدَعَ قَلْبَهَا ... مَا أَوْدَعَتْ قَلْبَيْهِ مِن نَّارِ الهَوَى
وَثَنَتْ مَعَاطِفَهَا إِلَى حَيْثُ الْحِمَى ... تَرْنُو وَلَكِن مِثْلَمَا تَرْنُو الْمَهَى
وَسَرَى النَّسِيمُ مُصَافِحًا صَفَحَاتِ خَدَّ ... يْهَا وَقَدْ نُدِّيَتْ بِأَنْفَاسِ النَّدَى
فَعَرَا سَنَاهَا الاصْفِرَارَ وَصَدْغَهَا ... دَاءُ الدَّوَارِ وَقَلْبَهَا الدَّامِي الضَّنَى
وَغَدَتْ عَلَى مَهْدِ السُّقَامِ عَلِيلَةً ... مَا بَينَ دَاءِ الْوَجْدِ أَوْ دَاءِ الطِّلَا
وَإِذْ انْقَضَى دَاءُ الْمُدَامَةِ وَانْتَضَى ... سَيْفُ الْبُعَادِ بِكَفِّهِ دَاعِيَ الشَّقَا
جَاءَ الْحَبِيبُ مُوَدِّعًا لَا يُرْتَجَي ... بُعْدُ النَّوَى عَنْهَا سِوَى قُرْبُ اللُّقَا
مَدَّتْ يَدَ الصَّبَابَةِ وَالنَّوَى ... قَالَتْ وَقَالَ بَكَتْ وَمَا يُجْدِي الْبُكَا
حَتَّى إِذَا طَالَ الْفِرَاقُ وَشَاقَهَا ... حُلْوُ التَّلَاقِ وَرَاعَ أَحْشَاءَهَا الأَسَى
وَافَى كِتَابُ حَبِيبِهَا فَجَرَتْ لِتَأْخُذَهُ ... وَلَكِنْ لَيْسَ تَدْرِي مَا جَرَى
وَتَلَتْ وَلَكِنْ مَا يُرَوِّعُ فُؤَادَهَا ... لَا مَا يُسَاعِدُهُ عَلَى دَفْعِ الْبَلَا

عَلِمَـتْ بِأَنَّ حَبِيْبَهَـا أَضْـحَى عَلَـى   مَهْـدِ الضَّـنَا تَنْتَابُـهُ أَيْـدِي الفَنَـا
فَـدَنَتْ إِلَيْـهِ بِمُقْلَـةٍ مِـنْ غِمْـدِهَا   صَـرْعَى وَقَلْـبٍ خَـافِقٍ خَفْـقَ اللَّـوَا
هَــــذَا وَلَمْ تَــــدْرِ بِأَنَّ حَبِيبَهَــــا   يَقْضِـي صَـرِيعَ الكَـأسِ فِي ذَاكِ المِسَا
كَـأْسٌ حَدَتْـهُ إِلَى كُئُـوسٍ حَيْـثُ لَمْ   يَـرْدَعْ هَـوَاهُ وَكَـمْ فَـتَى أَرْدَى الْهَـوَى
فَـرَأَتْ مَلِيـكَ فُؤَادِهَـا يَحْكِـي الهَـوَا   رَسْمًـا وَلَا يُبْـدِي حِرَاكًـا كَـالْهَوَا
فَدَنَتْ مِنَ الأَسَى وَقَدْ غَلَبَ الأَسَى   تَرْجُـو شِـفَاهُ حَيْـثُ لَا يُرْجَى الشِّـفَا
وَإِذَا بِهَـا سَمِعَـتْ نِـدَاءَ حَبِيبِهَـا   فَاتِنَـهُ وَهِـيَ تَظُنُّـهُ رَجْـعَ الصَّـدَى
وَحَنَـتْ عَلَيْـهِ كَطِـائِرٍ يَحْنُـو عَلَـى   غُصْـنٍ ذَوَى كَيْمَـا تُشَـاطِرُهُ الـرَّدَى
فَبَكَـى فَقَالَـتْ وَهِـيَ تَمْسَـحُ طَرْفَـهُ   بِبَنَانِهَـا مَـا الـدَّاءُ يَا رُوحَ الْمُـنَى
فَأَجَابَهَـا نَـدَمًا يَجُـودُ بِنَفْسِـهِ   وَيْـلَاهُ هَـذَا الـدَّاءُ مِـنْ ذَاكَ الـدَّوَا

وقال في زفاف صديق يدعى «يعقوب» على فتاة تُدعى «مريم»:

أَفُــؤَادِي عَلَــى لِسَــانِيَ أَمْلَــى   مَــا يَكُــنْ الْفُــؤَادُ نَحْــوَكَ أَمْ لَا
بَــلْ رُوَيْــدًا فَإِنَّمَــا مَــرْيَمُ العَــذْرَاءُ   خَطَّــتْ بِأَحْــرُفٍ لَــكَ قَــوْلَا
حَيْثُ قَالَتْ يَعْقُوبُ إِنَّكَ مِنْ عَيْنِي   مَكَــانَ السَّــوَادِ مِنْهَــا وَأَحْلَــى
فَهَنِيئًــا لَكُــمْ وَمَــنْ لَمْ يَهنِّــئْكُمْ   لَعَمْــرِي فَلَــيْسَ وَاللهِ خَــلَا

وقال في قصيدة عنوانها «ليلة في المسرح»:

إِلَى قَاعَــةِ التَّمْثِيــلِ جَــاذَبَنِي قَلْـبِي   دُجَـى وَقِنَـاعُ اللَّيْـلِ أَسْـتَرَ لِلصَّـبِّ
فَسِــرْتُ كَــأَنِّي رَاكِــبٌ فِي سَــفِينَةٍ   مِـنَ الشَّـوْقِ يُجْرِيهَـا بُخَـارُ لَظَـى الْقَلْـبِ

فَآنسَ طَرْفِي مُذْ دَخَلْتُ أَوَانِسًا   تَحَجَّبْنَ إلا عَنْ عُيُونِ ذَوِي اللُّبِّ

نَظَرْنَ إِلَى الْفِتْيَانِ فِتْيَانِ عَصْرِنَا   وَقَدْ أَسْكَرَتْهُمْ فِي الْهَوَى خَمْرُ الْحُبِّ

فَنَابُوا عَنْ الْجُوقِ الْمُمَثِّلِ أَنَّمَا   رِوَايَاتُهُم مَا سُطِّرَتْ قَطُّ فِي كُتُبِ

عَلَى أَنَّهَا قَدْ سُطِّرَتْ فِي صَحِيفَةٍ   مِنَ الْجَهْلِ يَغْشَاهَا مِدَادٌ مِنَ الْعَتَبِ

وَأَوْحَى بِهَا لِلْقَلْبِ لَحْظُ أَخِي النُّهَى   وَلَمْ يَمْحُهَا إلا بِمَدْمَعِهِ الصَّبِّ

مَدَامِعُ يُجْرِيهَا الأسَى وَخِضَابُهَا   هُوَ الْوَرْدُ لَكِنِ مَنْ لَهُ بِنَدَى السُّحُبِ

وَقَدْ صَوَّبُوا الْمِنْظَارَ كَالْعَسْكَرِ الَّذِي   يُحَاوِلُ تَصْوِيبَ الْبَنَادِقِ فِي الْحَرْبِ

وَأَرْسَلَ كُلٌّ سَهْمِ لَحْظَيْهِ رَائِدًا   رِيَاضَ خُدُودِ الآنِسَاتِ مِنَ الْحُجُبِ

أَوَانِسٌ إِلا أَنَّهُنَّ نَوَافِرُ   إِذَا مَا الْتَقَى يَوْمًا اللُّقَا الهُدْبُ بِالهُدْبِ

نَوَاعِسُ حَتَّى يُصْبِحَ الطَّرْفَ لِلكَرَى   قِرًى وَيُنَاغِي الطَّيْرَ فِي الْغُصْنِ الرَّطِبِ

فَكَانُوا وَمَا مِنْ سَامِعٍ لِلْمُثُلِ   وَلَا نَاظِرٍ مَا كَانَ فِي مَرْسَحِ اللُّعَبِ

إِذَا مَا شَدَا شَادٍ فَرَاقَ نَشِيدُهُ   سَمِعْتَ صَدَى مَصِّ الشِّفَاهِ مِنَ الْعَجَبِ

وَإِن رَّاقَهُم مِنَ التَّفَنُّنِ قَاطَعُوا   بِتَصْفِيقِهِمْ ذَاكَ التَّفَنُّنِ وَالضَّرْبِ

وَإِنْ هُوَ أَوْمَأَ بِالْبَنَانِ لِغَادَةٍ   وَكَانَتْ وَإِيَّاهُ تُمَثِّل مَا يُصْبِي

رَنُّوا وَانْثَنُوا لَا لارْتِيَاحٍ وَإِنَّمَا   لِرَاحٍ تُحَاكِي رِيقَ مَبْسَمِهَا الْعَذْبِ

وَأَعْجَبَ مِنْهُ ضَحْكُهُمْ سَاعَةَ الْبُكَا   وَيُقْبَحُ ضَحكُ الْمَرْءِ فِي مَشْهَدِ النَّدْب

وَلَوْ رَمَت تعْدَادَ الْبَوَاقِي لَمَا بَقَى   مِدَادٌ بِأَطْرَافِ الْيَرَاعِ فَمَا ذَنْبِي

عَلَى أَنَّنِي اسْتَوْقَفْتُ آخِرَ قَطْرَةٍ   كَتَبْتُ بِهَا ذَا الْبَيْتِ مُسْتَغْفِرًا رَبِّي

ورأى غادة تقرأ في كتاب فقال مرتجلًا:

يَا لَيْتَنِي كُنتُ سَطْرًا ... تَحْتَ اللِّحَاظِ فَأُقْرَا
أَوْ كُنتُ ضَيْفًا لَدَيْهَا ... مِنَ الجَمَالِ فَأُقْرَى

وقال في حادثة «شهيدة الحب»:

للهِ مَوْقِفُ غَادَةٍ ... عَبَثَتْ بِمُهْجَتِهَا الشُّجُون
لَعِبَ الهَوَى بِفُؤَادِهَا ... غُصْنًا تَتِيهُ بِمُهْجَتِهَا الشُّجُون
فَتَقَصَّفَتْ أَوْرَاقُهَا ... حَتَّى عَلَا مِنْهَا الأنِين
مَا تِلْكَ أَوْرَاقُ جَنَّتِهَا ... قَطُّ أَيدِي الغَارِسِين
حَتَّى تَعُودَ فَتَجْلَى ... لِلعَيْنِ زَهْرَاءُ الجَبِين
تِلْكَ الجَوَارِحُ إِنَّمَا ... رَقَّتْ لِتَكْسِيرِ الجُفُون
فَجَنَى عَلَيْهَا الْوَجْدَ مَا ... لَمْ تَجْنِهِ نبالُ العُيُون
مِن نَّظْرَةٍ قَدْ غَادَرَتْ ... فِي قَلْبِهَا السَّهْمُ الْمَكِين
سَهْمٌ بَدَا عَن قَوْسٍ حَاجِبٍ ... أَهْيَفٍ يَرْمِي الفُتُون
فَغَدَت تَقُولُ بِلَوْعَةٍ ... أُمَّاهُ هَلَا تَعْلَمِين
قَدْ جَاءَنِي وَحْيُ الخَفَا ... إِنِّي سَأُقْضَى بَعْدَ حِين
فَحَنَتْ عَلَيْهَا أُمُّهَا ... تَبْكِي بُكَاءَ الخَائِفِين
بِيَدٍ تَضُمُّ فُؤَادَهَا ... كَالطَّيْرِ ضَمَّتْهُ الغُصُون
وَغَدَت تقُولُ بِلَهْفَةٍ ... للهِ مَا هَذِي الظُّنُون

مَا أَنْتِ إِلَّا وَرْدَةٌ حُجِبَتْ فَأَنَّى تُقْطَفِين
تَحْيِينَ مَا بَكَتْ السَّحَائِبُ أَوْ جَرَتْ مَاءُ الْعُيُون
فَبَكَتْ بُنَيَّتُهَا بِدَمْعٍ هَاجَهُ الدَّاءُ الدَّفِين
وَثَنَتْ غُصَيْنَ قَوَامِهَا تَشْكُو وَلَكِن لَا مُعِين
وَتَقُولُ مِنْ وَلَهٍ إلهي ارْحَمْ قُلُوبَ العَاشِقِين
وَاغْفِرْ لَهُمْ ذِلَّاتَهُمْ فَلَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِين
حَتَى إذَا بَسَمَ الصَّبَاحُ وَفَتَّحَتْ مِنْهُ الْجُفُون
نَظَرَتْ فَخَالَجَ طَرْفَهَا شَبَحٌ رَأَتْهُ مُنذُ حِين
فَدَنَتْ بِجَاذِبِ شَوْقِهَا حَتَّى إِذَا الْتَقَتْ العُيُون
وَرَأَتْ حَبِيبَ فُؤَادِهَا يَدْنُو وَتُحْجِبُهُ الْغُصُون
قَالَتْ وَقَدْ نَشَرَ الحَيَاءُ لِوَاءَهُ فَوْقَ الجَبِين
أَهْلًا بِمَنْ مَلَكَ الْفُؤَادَ هَوَاهُ دُونَ العَالَمِين
فَأَجَابَهَا ذَاكَ الْفَتَى فَرِحًا بِلُقْيَاهَا حَزِين
يَا مَنْ حَوَتْ وَرْدَ الرِّيَاضِ بِخَدِّهَا الْبَاهِي المَصُون
مَنْ لِي بِأَنِّي وَأَنتِ والهوى نُمْسِي عَلَى عَهْدٍ مَتِين
فَتَعَاهَدَا حَتَّى إِذَا وَافَى حِمَاهَا بَعْدَ حِين
نَظَرَ الْفَتَى فِي وَجْهِهَا دَمْعًا فَهَاجَتْهُ الشُّجُون
وَارْتَابَ فِي حُبِّ الْفَتَاةِ لَهُ وَرَاعَتْهُ الظُّنُون

وَرَنَا إِلَيْهَا قَائِلًا   بِاللهِ مَاذَا تَشْتَكِين

قَالَتْ وَقَدْ بَسَطَ الْمَمَاتُ   جِنَاحَهُ فُوْقَ الْجَبِين

أَشْكُو شَرَابًا صَبَّهُ   الرَّحْمَنُ فِي كَأْسِ المَنُون

وَأَتَتْ بِهَ الأَقْدَارُ تَسْعَى   نَحْوَ ذَا الْقَلْبِ الْحَزِين

فَبَكَى الفَّتَى جَزَعًا وَصَاحَ   بِلَهْفَةٍ أَنَّى يَكُون

أَبِيَقَظَةٍ يَا أُذُنُ أَمْ   فِي الحُلْمِ مَا قَد تسْمَعِين

فَأَجَابَهُ مِنْ عَالَمِ النَّجْوَى   لِسَانُ العَاشِقِين

هَيْهَاتَ قَدْ حَكَمَ الْقَضَاءُ   وَذَاكَ أَقْوَى الحَاكِمِين

يَجْنِي غُصَيْنَ قَدْ حَلَا   مِنْهُ الجَنْي دُونَ الغُصُون

فَأَصْبِرْ عَلَى بَلْوَاكِ إِنَّ   اللهَ يَجْزِي الصَّابِرِين

فَجَثَا الْفَتَى جَزَعًا وَصَاحَ   حَبِيبَتِي هَلْ تَسْمَعِين

لَا لَا فَذَاكَ يُرَوِّعُ قَلْبَكِ   ذِكْرُهُ لَوْ تَعْلَمِين

مَا زَالَتْ حَبِيبَتُهُ وَقَالَتْ   تِلْكَ يَا قَلْبِي ظُنُون

فَادْنُو حَبِيبِي لِلْوَدَاعِ   قُبَيْلَ أنْ يَدْنُو المَنُون

وَيُرَوِّعُ قَلْبَيْنَا بِنَأْيٍ   لَا لِقَاءَ لَهُ يَكُون

فَبَكَى وَقَالَ حَبِيبَتِي   بِاللهِ مَاذَا تَكْتُمِين

وَأَرَادَ تَخْفِيفَ الجَوَى   مِنْهَا وَإِبْدَاءَ الحَنِين

وَإِذَا بِهَا سَقَطَتْ تُجَلِّلُ   وَرْدَ خَدَّيْهَا الغُصُون

فَـــــدَنَا يُنَازِعُهَـــــا الْفَنَــــا نَـــدَمًا وَلَكْـــــن لَاتَ حِــــين

وَيَقُــــولُ يَا عَــــذْرَاءُ رِفْقًـــا بِي وَبِالقَلْـــــــبِ الحَـــــــزِين

حَــــتَّى إِذَا هَــــدَأ الظَّــــلَامُ وَعَــــمَّ فِي الأَرْضِ السُّــــكُون

سَمِــــعَ الفَــــتَى مِــــن نحْوِهَــــا صَــــوْتًا يُخَــــامِرُهُ الأَنِــــين

وهتـــــاف وحـــــيٍ قائـــــلٌ وا رحمتـــــا للعاشـــــقين

وقال في فتاة تدعى «مريم»:

مَــــنْ لِي مَــــرْيَمُ حَــــتَّى أَكُــــونُ عِيسَــــى لَــــدَيْهَا

كَيْمَــــا تُقَبِّــــلُ خَــــدِّي يَوْمًــــا وَأَحْنُــــو عَلَيْهَــــا

وقال فيها:

أَمَـرْيَمُ لَـوْ تَـدْرِي بِأَنَّ أَخَـا الْهَـوَى عَلَـى الْبُعْـدِ أَضْـحَى كَالخَيَـالِ نحِيلَا

لَكُنتِ مَنَحْتِ الْقَلْبَ مِنْهُ تَعَطُّفًـا وَنَحَــتْ عَلَيْــهِ بُكْــرَةً وَأَصِــيلَا

وقال عن لسان صديق اقترح عليه نظم بيتين:

أَتَيْــتُ إِلَيْــكَ الآنَ لَا لِــزِيَارَة وَلَكْن لأَروِيَ الْقَلْبَ بِالمَبْسَمِ العَذْبِ

وَأُلْقِــي إِلَــيْكُمْ ذِي البِشَــارَةِ أَنَّــنِي نَقَلْـتُ إِلَى مِصْـرَ بِهَـا مَرْتَـعَ القَلْـبِ

وقال يرثي ملكة الإنجليز:

عَزِيــزٌ عَلَيْنَــا أَنْ أَقُــولَ صَــفْحَةً مِـنَ الجِيـلِ تَغْشَـاهَا سُـطُورُ الْمَنِيَّـة

وَأَنَّ جَنَــانَ الْغَيْــبِ يُمْلِــي وَدُونَــهُ بَنَـانَ الْقَضَـا يَسْـرِي بِـرَقْم الرَّزِيئَـة

هُـوَ الْمَـوْتُ حَـتَّى لَـوْ دَنَـتْ سَـاعَةُ هَـوًى فَوَهَـتْ مِـنْ هَوْلِـهِ كُـلُّ هِمَّـة

أَقِيْكُتورْيَا إنْ كَانَ قَوْمُكِ رَعَوْا … مِنَ الدَّاءِ خَوْفًا مِن وُقُوعِ الأذِيَّة
فَكَيْفَ بِهِمْ وَالْمَوْتُ فَوْقَكِ بَاسِطٌ … جَنَاحَ الرَّدَى يُنْبِي بِعِظَمِ الْمُصِيبَةِ
أَقِيكْتُورْيَا كَم مِن مُحِبٍّ وَقَدْ غَدَا … يُعَلِّلُ نَفْسًا بِالتِي وَبالتِي
وَكَم منْ صَفِيٍّ بَاتَ بَعْدَكِ دَامِيَ الْفُؤَ … ادِ عَدِيمَ الرُّشْدِ وَهْنَ الْعَزِيمَةِ
أَقِيكْتُورْيَا مَا إنْ نَأَيْتِ وَفِي الْوَرَى … سِوَى رَمَقٍ بَاقٍ وَقَلْبٍ مُفَتَّتِ
مَلَكْتِ وَثُغْرِ الْقَوْمِ بِالبِشْرِ بِاسِمٌ … لَمَّا آنسُوهُ مِنْ صَفَاءِ الْمَوَدَّةِ
علی أَنَّهُم لَمْ يَبْسُمُوا لملمة … أَلَمَّتْ وَلَا لِلخَصْم يَوْمَ الْكَرِيهَة
عَلَيَك سلامُ الله ما حَيْثُ الصَّبا … فَأَحْيَتْ زُهُورًا فَوْقَ تُرْبِكِ حَنَّتِ

وقال يصف الكهرباء والحب:

كَيْفَ لَا يَصْبَغُ الْخُدُودَ الْحَيَاءُ … فِي زَمَانٍ سَادَتْ بِهِ الْكَهْرُبَاءُ
آلةٌ تُوهِنُ الْقُوَى كُلَّمَا … احْتَكَّتْ وَتُلْقِى الآسَادَ وَهِيَ ظِبَاءُ
كُلَّمَا هَاجَ قَلْبَهَا حَرَكَاتٌ … جَذَبَتْنَا فَكَانَ مَا لَا نَشَاءُ
كَفَتَاةٍ رَأَتْ فَتَاهَا فَتَاهَتْ … إِذْ رَآهَا فَرَاعَهُ الإِغْمَاءُ
ضَمَّهَا وَالْفُؤَادُ يُضْرَمُ مِنْهَا … قَبْسًا فِي الْفُؤَادِ مِنْهُ صِلاءُ
وَاخْتِلَافُ الأَجْسَامُ يَنْشَأُ عَنْهُ … جَاذِبٌ لَا تَحُلُّهُ الْكِيمْيَاءُ
فَأَطَاعَ الْهَوَى فَرَاحَ صَرِيعًا … حَيْثُ قَادَتْ فُؤَادَهُ الأَهْوَاءُ
زَارَتْ الْكَهْرُبَاءُ قَلْبَ مُحِبٍّ … زَارَهُ الْوَجْدُ وَالْوَلَا وَالإِخاءُ
لَمْ تَرَ مُوصِلًا إِلَيْهِ فَتُسَرِّي … عَنْهُ بَلْ كَانَ مِنْ مُنَاهَا البَقَاءُ

لَـيْسَ لِلقَلْـبِ مُوصـلٌ فَهُـوَ كَـالطَّيرِ يَـــرِفُّ وَالجِسْـــمُ مِنْـــهُ هَـــوَاءُ
لَيْـتَ ذِي الْكَهْــرُبَاءُ تَطْـرُقُ قَلْـبِي حِـينَ يَبْـدُو مِـنَ الْحَبِيـبِ الْجَفَـاءُ
عَلَّهَـا تَجْــذِبُ الْحَبِيــبُ فَيَــرْوِي كَبَــدِي عَــذْبُ ثُغْــرِهِ وَالطِــلَاءُ
وَعَجِيــــبٌ أَنْ تَلَاشَـــى قُوَاهَــــا وَهِــــيَ وَاللهِ آلَــــةٌ صَــــمَّاءُ
وَلِحَـــاظُ الْحَبِيــــبِ لَمَّـــا رَآنِي كَــانَ فِيهَــا مِــنَ الْهَــوَى كَهْــرُبَاءُ

واقترح عليه مغنٍّ بيتين ينشدهما في غادة:

أَطَلَّـتْ مِـنَ الشِّـبَّاك مَحْلُولَـةَ الشَّـعْرِ مَهَاةٌ حَكَـتْ فِي حُسْنِهَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ
وَمُـذْ سَمِعَـتْ صَـوْتِي تَثَنَّـتْ كَأَنَّهَـا غُصَـينٌ أَمَالَتْـهُ النَّسَـائِمُ فِي الْفَجْـرِ

واقترح عليه بعضهم تكملة معنى هذا البيت:

هِــيَ الْبَــدْرُ إِلَّا أَنَّهَــا ذَاتُ بُرْقُــعٍ تَتُــوقُ لِمَرْآهَــا النُّفُــوسُ وَتَعْشَــقُ

فأردف قائلًا:

وَمَـا اللَّيْـلُ يُرْخِـي الظَّـلَامُ سُـدُولَهُ وَلَا الصُّبْحُ مَا تَحْكِي سَنَاهُ الْبَـوَارِقُ
وَلَكِــن لَّيْــلُ الْعَاشِــقِين احْتَجَابَهَــا وَصَـبَّحْهُمْ فِي وَجْهِهَـا حِـينَ يَشْـرُقُ

وقال في الحنين إلى الوطن:

يَا بَــنِي الأَوْطَــانِ مَــا أَحْلَــى اللُّقَــا وَأَلَـــذَّ الْعِـــزَّ مِـــنْ بَعْـــدِ الشَّـــقَا
فَمَـــتَى نَحْظَـــى بِغِـــزْلَانِ النَّقَـــا وَنُــرِيحُ الْقَلْــبَ مِــنْ هَــذَا الْعَنَــا
حَكَـــمَ الـــدَّهْرُ عَلَيْنَـــا بِالْفُـــرَاقِ حِـينَ لَا نَقْـوَى عَلَـى مُـرِّ الطَّـلَاقِ
آهٍ وَا شَـــوْقِي إِلَى حُلْـــوِ الـــتَّلَاقِ حَيْـثُ أَحْظَـى مِـنْ حَبِيـبِي بِالْمُـنَى

آهٍ وَا شَوْقِي إِلَى ذَاكَ الْحِمَى   حَيْثُ أَضْحَى الْقَلْبُ صَبًّا مُغْرَمَا
يَا إِلَهَ الْعَرْشِ كُنْ لِي رَاحِمًا   وَاشْفِ قَلْبِي مِنْ تَبَارِيحِ الضَّنَى
تِلْكَ أَوْطَانٌ لَهَا قَلْبِي صَبًّا   إِذْ قَضَى فِيهَا أُوَيْقَاتُ الصِّبَا
فَاحْمِلِي بِاللهِ يَا رِيحَ الصَّبَا   عَنِّي الشَّوْقَ إِلَى ذَاكَ الْحِمَى
كُنْتُ قَبْلَ بَعْدَ لَا أَدْرِي الْعَذَابِ   لَا وَلَا أَعْرِفُ مَعْنَى الاحْتِجَاب
غَيْرَ أَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَ الْبُعْدِ ذَاب   فَارْحَمُوا قَلْبِي وَدَاوُوا الْبَدَنَا
قَرَّبَ اللهُ أُوَيقاتِ الْهَنَا   وَأَرَاحَ الْقَلْبَ مِن بَعْدِ الْعَنَا
وَإِذَا لَمْ تُدْنِنَا دَارُ الْفَنَا   فَلَقَدْ تَجْمَعُنَا دَارُ البَقَا

وبعث إليه صديق يطلب حاجة فأجابه بهذين البيتين:

قَدْ طَلَبْتَ الْقَلِيلَ مِنِّي وَمَا كَانَ   فُؤَادِي مِنَ الْوِدَادِ مُقِلًّا
لَكَ مَا شِئْتَ يَا خَلِيلِي فَإِنِّي   فِي حَيَاتِي لِسَائِلِي لَمْ أَقُل لَّا

وقال يصف عيد الجلوس الخديوي:

لَا غَرْوَ أن لَّاحَتْ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ   فِي مِصْرَ مُحَدِّقَةً بِمِرْهَفِ قَدِّهِ
وَالْعِيدُ أَقْبَلَ بَاسِمًا بِجُلُوسِهِ   كَالسَّيْفِ يَبْدُو ضَاحِكًا مِنْ غِمْدِهِ
عِيدٌ بِهِ رَقَصَتْ أُولِي الْهَوَى   ثَمْلَى كَأَنَّ شَرَابَهَا مِنْ وِدِّهِ
وَافَى فَلَمْ يَبْقَ فُؤَادٌ سَاكِنٌ   حَتَّى حَسِبَتْ قُلُوبُنَا مِنْ وَفْدِهِ
لَا بِدْعَ أَنْ تَزْهُو رِيَاضُ الأَزْبَكِيَّةِ   وَهُوَ رَائِدُهَا بِرَوْضَةِ خَدِّهِ
أَوْ تَتَجَلَّى بِيضُ الأَزَاهِرِ وَهِيَ تَحْكِي   الزُّهُورَ لَكِنْ فِي أَعَالِي مَجْدِهِ

وَقُلُــوبُ آلِ وَلَائِــهِ قَــدْ أَشْــرَقَتْ   بِلَظَـى الْـوِدَادِ عَلَـى صَـفَائحِ جُنْـدِهِ
عَبَّـاسُ لَـوْ عَجَـزَ الْـوَرَى عَـن مَدْحِـهِ   نَطَقَـــتْ شَمَائِلُـــهُ بِرَائِـــقِ حَمْـــدِهِ
فَلْيَهْنَـأْ بِالْعِيـدِ الـذِي هَتَفَـتْ بِـهِ   أَبْنَـــاءُ مِصْـــرَ وَالْعِـــرَاقِ وَنَجْـــدِهِ
فَلْيَحْـيَ عَبَّـاسُ عَلَـى الْعَـرْشِ الـذِي   نَهْـوَى لَـوْ انَّ قُلُوبَنَـا مِـنْ مَهْـدِهِ

وقال يرثي المرحوم الشيخ نجيب الحداد:

أَدَمْـعٌ جَـرَى مَـدْمَعَ الصَّـبِّ أَمْ مُـزْنٌ   عَلَى فَقْدِ مَنْ فِي فَقْدِهِ دَاهِمِ الحُزْنُ
ذَوَى غُصْـنُهُ رَطِبًـا وَقَلْـبِيَ حَـائِمٌ   عَلَيْهِ فَذَاقَ الْقَلْبُ مَا ذَاقَهُ الْغُصْنُ
خَلِيلِـي مَـا لِلطَّـرْفِ يَعْنُـو لِدَمْعِـهِ   حَزِينًا وَمَا أَن كَانَ قَبْلَ النَّوَى يَعْنُو
تَـرَاءَى لِنَظْمِـي مَـا كَـنَّ خَـاطِرِي   فَأَضْحَى مَلِيكَ الشِّعْرِ وَالخَادِمُ الوَزْنُ
كَأَن صَدى مِنْ صَيْدِ قَلْبِي يَفْقِدُهُ   وَلَـوْ صَـدَّ عَـنِّي فَهُـوَ نَظْمُـهُ عِـوَنُ
يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَمَا الدَّمْعُ فِي الأَسَى   بِمَجْدٍ فَقُلْتُ الصَّبْرُ أَنْ تَصْبِرَ الْعَيْنُ
نَعَـمْ فَكِـلَانا يَا نَجِيـبُ عَلَـى الْوَفَـا   مُقِيمٌ إِذَا دَاعِيَ الصَّفَا صَابَهُ الْوَهْنُ
أَلَـيسَ عَجِيـبٌ بَعْـدَ حَبِيبِـكَ أَنَّـنِي   أَرَاكَ ضَـجِيعَ التُّـرْبِ لَـيْلًا وَلَا ظَـنُّ
عَلَيْـكَ سَـلَامُ اللهِ مَـا سَـالَ مَـدْمَعِي   وَمَا هَاجَ مِنْ ذِكْرَاكَ فِي كَبَدِي حُزْنُ

وقال في قصيدة عنوانها «العلم والمال»:

لَبِسُـــوا الْبُـــرْدَ وَانْثَنُـــوا رَافِلِينَـــا   بَاختِيَـــالٍ يَسْـــتَجْذِبُونَ الْعُيُـــونَا
وَتَحَلَّـــوْا وَلَيْـــتَهُم مَّـــا تَحَلَّـــوْا   أَنَّهُـمْ عَـنْ حُلَـى الْعُـلَا غَـافِلُونَا
حِلْيَـــةُ الـــنَّفْسِ شِـــيمَةٌ لَمْ يَشْـــمُهَا   غَيْـرُ لُطْـفٍ يَعْنُـو لَـهُ السَّـاحِرُونَا

لَـيْسَ بِاللِّـبْسِ وَالْحُلَـى خَلَّـدَ التَّـارِيخُ ... ذِكْـــــرَ الفَطَاحِـــــلِ الغَابِرِينَـــــا

إِنَّمَـــا بِالعُلُـــومِ نَالُـــوا فِخَـــارًا ... لَمْ يَنَلْـــهُ الْمُلُـــوكُ وَالْمُكْثِـــرُونَا

أَيْـنَ كِسْـرَى مِـنْ ابْـنِ خَلْـدُونَ هَـذَا ... عَــاشَ قُـــرُونًا وَذَاكَ عَــاشَ قُـــرُونَا

مَـاتَ كِسْـرَى بِمَوْتِـهِ وَابْـنُ خَلْـدُونُ ... لَعَمْـــرِي بِالــذِّكْرِ يَحْــيَ دَفِينَـــا

كَـمْ غَـنِيٌّ قُضِـيَ وَلَمْ يَقْـضِ سُـؤْلَا ... وَذَكِـــيٌّ هَـــدَى فَكَـــانَ مُعِينَـــا

إِنَّمَـا الجُـودُ أَنْ تَجُـودَ بِمَـا عِنْـدِكَ ... لَا أَنْ يَعُـــــودَكَ السَّـــــائِلُونَا

يَفْـــرَغُ الْمَـــالُ إِنْ يَـــدٌ أَنْفَقَتْـــهُ ... وَتَزِيـــدُ العُلُـــومُ حِينًـــا فَحِينَـــا

فَـاجِنِ مَـا لَا يَفْـنَى وَإِنْ فَـنِيَ الْمَـرْءُ ... وَدَعْ مَـــا تُفْـــنِي يَـــدُ الْمُنْفِقِينَـــا

فَقَلِيـــــلٌ مِمَّـــــا يَـــــدُومُ لَخَيْـــــرٌ ... مِـــن كَثِـــيرٍ يُفْنِيـــهِ مَـــرُّ السِّـــنِينَا

فَـإِن كَـانَ طَـرْفِي قَـدْ غَـذَانِي بِحُسْـنِهِ ... وَلَمْ أَغْتَـذِ مِـن لَحْمَـهِ النَّضْـرُ الغَضِـينَا

وقال في حكاية «الغراب والثعلب»:

رَأَى الْغُـــــرَابُ جِبْنَـــــةً فِي دَارِ ... لِـبَعْضِ قُــوْمٍ مِــنْ ذَوِي الْيَسَــارِ

فَسَـــــلَّ مِنْهَـــا قِطْعَـــةً وَطَـــارَا ... كَأَنَّـــهُ قَـــدْ مَلَـــكَ الإِمَـــارَة

وَحِينَمَـا حَـطَّ عَلَـى إِحْـدَى الشَّـجَر ... رَآهُ ثَعْلَـــبٌ فَأَحْـــدَقَ النَّظَـــرَ

فَلَمَـــحَ الجُبْنَـــةَ فَاحْتَـــالَ عَلَـــى ... اخْتِطَافِهَـــا مِنْـــهُ بِهَاتِيـــكَ الْفَـــلَا

قَـــالَ لَـــهُ يَا مُحْسِـــنَ الْغِنَـــاءِ ... وَمُخْجِـــلَ الطُّيُـــورِ وَالظِّبَـــاءِ

لِي سَـــنَّةٌ أَطْلُـــبُ أَنْ أَرَاكَـــا ... لَأَسْمَـــعَ الرَّائِـــقَ مِـــنْ غُنَاكَـــا

فَهَـــلْ تَجُـــودُ بِالغُنَـــا يَا سَـــيِّدِي ... فَتَـــرْوِي الْقَلْـــبَ بِطِيـــبِ المَـــوْرِدِ

فَامْتَثَلَ الْغُرَابُ قَوْلَ الثَّعْلَبِ وَصَارَ يَشْدُو بِالْغِنَاءِ الْمُطْرِبِ
فَأَوْقَعَ الْجُبْنَةَ مِنْ مِنْقَارِهِ غَنِيمَةً بَارِدَةً لِجَارِهِ
فَفَرِحَ الثَّعْلَبُ وَانْتَشَلَهَا بِفَمِهِ وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَهَا
نَادَاهُ يَا غُرَابُ مَا ظَلَمْتُكَا بِمِثْلِ مَا عَامَلْتَ قَدْ عَامَلْتُكَا
سَلَبْتَ إِنْسَانًا عَلَيْكَ اعْتَدَى وَمَا فَعَلْتَ الآنَ تَلْقَاهُ غَدَا
وَالْمَالُ لَا يَخْرُجُ مِن كَفِّ الْفَتَى إِلَّا مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَتَى

وقال في مقتل ملك السرب:

طَرَقَ الْحُبُّ قَلْبَهُ فَاسْتَمَالَه لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ أَطَاعَ غَزَالَه
مَلَكٌ تَمْرَحُ الظِّبَا فِي حِمَاهُ وَهُوَ فِي أَسْرِهَا فَأَيْنَ الْعَدَالَه
يَا بَنِي السِّرْبِ تِلْكُمْ سُنَّةُ اللهِ فَهَلَّا تَلَوْتُمُ أَقْوَالَه
وَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ يَفْتَرِي أَوْ ضَلَالَه
لَوْ نَظَرْتُمْ بِعَيْنِهِ أَوْ لَمَسْتُمْ بِيَدَيْهِ بَنَانَ تِلْكَ الْغَزَالَه
لَعَرَفْتُمْ قَدْرَ الْهَوَى وَعَلِمْتُمْ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ الْهُدَى قَدْ أَمَالَه
قَدْ جَنَيْتُمْ عَلَيْهِمَا قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ كُلٌّ مِنْ خِلِّهِ أَمَالَه
كَانَ أَوْلَى عَزْلُ الْمَلِيكِ عَنِ الْعَرْشِ فَعَرْشُ الْهَوَى غَدَا أَحْلَى لَه
مِن مَّمَاتٍ تُشَارِكُ اللَّحْظُ فِيهِ وَالْيَمَانِيُّ فَقَطَعَا أَوْصَالَه
وَهُوَ لَمْ يَرْوِ مِنْ دِرَاغَا غَلِيلًا وَهِيَ بِاللَّحْظِ كَمْ رَوَتْ مِن مَّقَالَه
يَا لَهُ مَوْقِفًا بِهِ انْتَفَضَتْ أَعْظُمُ صَرْعَى الْهَوَى أَمَامَ الْجَلَالَه

صَائِحَاتٌ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ تَرْجُو   لِلْفَقِيدَيْنِ عَفْوَهُ وَنَوَالَه

وقال يصف زيارة الحبيب:

رَكِبْتُ الْقِطَارَ إِلَى مَنْ أُحِبُّ   وَمَا غَيْرُ قَلْبِي لَهُ سَائِقُ
فَسَارَ وَلَكِنْ بِنِيرَانِهِ   كَأَنِّيَ بِهِ فِي الْوَلَا صَادِقُ
يُرَاعِي النَّظِيرُ فَيَجْرِي سِرَاعًا   وَلَحْظِي دَلِيلٌ لَهُ سَابِقُ
يُنِيرُ لَهُ ظُلُمَاتِ الْبُعَادِ   بِنُورِ اللِّقَاءِ وَلَا بَارِقُ
فَيَسْتَرِقُ الأَرْضَ فِي سَيْرِهِ   وَمَا هُوَ لَوْلَا الْهَوَى سَارِقُ
فَلَمَّا بَلَغْتُ دِيَارَ الْحَبِيبِ   طَرَقْتُ فَقِيلَ مَنْ الطَّارِقُ
فَقُلْتُ مُحِبٌّ دَعَاهُ الْهَوَى   لِيَنْظُرَ مَا أَبْدَعَ الْخَالِقُ
فَرَاشَقَتْهُ بِسِهَامِ اللِّحَاظِ   بِقَلْبِي فَلْيَفْتَدِي الرَّاشِقُ
فَخَدُّكِ وَرْدٌ وَثَغْرُكِ وَرْدٌ   يَحُومُ عَلَى مِثْلِهِ الْوَامِقُ
أَسِيرُ السُّهَادِ طَلِيقُ الرُّقَادِ   فَقَالَتْ فَدَيْتُكَ يَا عَاشِقُ
وَهَا هِيَ مُهْجَتِي عُرْبُونُ الْوَفَا   لَهَنَا بِهَا قَلْبُكَ الرَّائِقُ
فَعُدْتُ وَلَكِن رَغْمَ الْفُؤَادِ   يُجَاذِبُنِي حُسْنُهَا الْفَائِقُ
بِبَاخِرَةٍ فِي بِحَارِ دُمُوعِي   وَمِجْدَافُهَا قَلْبِيَ الْخَافِقُ
أُرَدِّدُ ذِكْرَى لَيَالٍ تَسَامَرَ   فِيهَا الْمَشُوقُ وَالشَّائِقُ

وقال في محاورة عاشقين:

لَعَمْرُ الْهَوَى لَوْلَا الْعُيُونُ الذَّوَابِلُ   وَهُدْبٌ لِحَاظٌ فِي فُؤَادِي ذَوَابِلُ

لَمَا صَرَعَتْ أُخْتُ الْمَهَا مُهْجَتِي وَلَا   سِـلَاحٌ سِـوَى الْعَيْنَـينِ حِـينَ تُقَاتِـلُ
رَأَتْـنِي لَـدَيْهَا نَاحِـلَ الْجِسْـمِ فَانْثَنَـتْ   إِلَيَّ وَقَالَـــتْ مَـــا لِجِسْـــمِكَ نَاحِـــلُ
فَقُلْـتُ وَهَـلْ يَحْيَـا غُصَـيْنٌ بِـلَا نَـدَى   فَقَالَـتْ فَفِـي كَفَّيْـكَ مَـا أَنْـتَ سِـائِلُ
فَقُلْتُ وَلَكِن قَدْ ذَوَى مِن لُظَى الْهَوَى   فَقَالَـتْ وَهَـلْ يَـذْوَى وَدَمْعُـكَ وَابِـلُ
فَقُلْـتُ لَعَـلَّ الشَّـمْسَ عَنْـهُ تَحَجَّبَـتْ   فَقَالَــتْ فَفِــي خَــدَّيَّ شَمْــسٌ تُمَاثِــلُ
فَقُلْتُ أَتَبْدُو الشَّـمْسُ وَالْبَـدْرُ طَالِعٌ   لَعَمْـرُكِ قَـدْ قَلَّـتْ لَـدَيَّ الْوَسَـائِلُ
فَقَالَـتْ عَجِيْـبٌ مَـا ذَكَـرْتَ وَإِنَّـنِي   وَإِيَّاكَ دَوْمًـــا نُـــورُنَا مُتَكَامِـــلُ
وَمِلْـتُ بِهَـا نَحْـوَ الـرِّيَاضِ فَآنَسْـتُ   أَزَاهِـــرَ وَرْدٍ غُصْـــنِهَا يَتَمَايَـــلُ
فَقَالَـتْ أَرَى غُصْـنًا يَمِيـلُ وَلَا هَـوًا   أَبَـــينَ هَـــوَانَا وَالْهَـــوَاءِ تَبَـــادُلُ
فَقُلْـــتُ وَلَا بِـــدْعٌ فَـــإِنَّ شُمُولَـــهُ   سَرَتْ فَحَكَتْهَا مِنكَ تِلْكَ الشَّمَائِلُ
وَإِنَّ احْمِـــرَارَ الْـــوَرْدِ بَـــيْنَ غُصُـــونِهِ   كَخَـــدَّيْكِ لَمَـــا دَاهَمَتْنَـــا الْعَـــوَاذِلُ
فَلَـــوْلَا الْحَيَـــا مَـــا رَاقَ وَرْدٌ لِنَـــاظِرٍ   وَلَا حُبِّبَـــتْ لِلْـــوَرْدَيْنِ الْخَمَائِـــلُ
وَلَوْلَا الْهَوَى مَا مَاسَ غُصْنٌ بِلَا هَوَا   وَلَا أَحْدَقَتْ بِالْقَلْبِ تِلْكَ السَّلَاسِلُ
فَأَنْـتَ مَنَحْـتَ الْـوَرْدَ نُـورَ مَلَاحَـةً   وَنَارَ التِّيَـــاعِ فَهُـــوَ زَاهٍ وَذَابِـــلُ
وَعَلَّمْتْـنِي وَصْـفَ الْجَمَـالِ وَلَمْ أَكُـنْ   جَهِلْـتُ وَلَكِـنْ كَـانَ لِي عَنْـهُ شَـاغِلُ
إِلَى أَنْ تَـــرَاءَى لِي هَـــوَاكَ وَأَنَّـــهُ   وَعَيْنَيْـكَ ذَا سِـحْرٍ وَهَـذِي قَنَابِـلُ
فَأَشْـــغَلَنِي إِلَّا عَـــنِ الْغَـــزَلِ الَّـــذِي   يُمَثِّـــلُ لِي الْغِـــزْلَانَ وَهِـــيَ تُغَـــازِلُ
وَإِنْ غِبْـتَ نَاجِـي الْبَـدْرَ عَـنِّي فَـإِنَّنِي   إِذَا لَمْ أَسَـلْهُ عَنـكِ فَـالطَّرْفِ سَـائِلُ

وقال في مطلع رواية:

لله مَوْقِــفُ عُشَّــاقِ الْجَمَــالِ إذا أُوتُوا الْعَفَافَ فَمَاتُوا مِنْ ظَبْيِ الْحَدَقِ
إذَا قُضُوا فِي الْهَوَى صَرْعَى فَشَافِعُهُمْ لَـدَى الْمَهِـينِ مَـا عَـانُوا مِـنَ الأرَقِ

وقال في سياق رواية:

رَعَـى اللهُ رَبْعًـا لَاحَ فِي وُكْنَاتِــهِ طُيُـورَ تُنَـاجِي الصَّـبَّ وَهُـوَ عَلِيـلُ
قَضَـيْتُ بِـهِ دَهْـرًا أَمِيـلُ إِلَى الْعُـلا بِقَلْـبٍ إِلَى حُـبِّ الصَّـفَاءِ يَمِيـلُ
وَسِـرْتُ عَلَـى وَجْـهِ الْبَسِـيطَةِ طَالِبًـا عَـلاءً وَمَجْـدًا وَالْفِخَـارُ جَمِيـلُ
أُرَاعِــي اللَّيْــلَ وَهِــيَ بَوَاسِــمٌ فَعِـيرُو سَـنَاهَا مِـن لظَـايَ أُفُـولُ
وَأَسْعَى عَلَى الرَّمْضَاءِ طَوْعَ مَطَالِبٍ غَـدَت تَحْتَهَـا الرَّمْضَـاءُ وَهِـيَ تَمِيـلُ
نِلْـتُ مَنَـالًا قَـدْ فَقَـدتُّ بِنَيْلِـهِ أَبًا فَضْـلُهُ بَـيْنَ الأَنَامِ جَزِيـلُ
لَقَدْ كَانَ لِي عَوْنًا إذَا الصُّحْبُ أَدْبَرَتْ وَإِنْ مُـدَّ لِي بَاعُ السَّـخَاءِ يَطُـولُ
قُضَـى دُونَ تَوْدِيـعٍ فَـأَوْدَعَ مُهْجَـتِي لَهِيبًـا مَـدَى الأَيَّامِ لَـيْسَ يَـزُولُ
عَلَـى مِثْلِـهِ فَلْتَمْـزِجِ الْعَـيْنُ دَمْعَهَـا دِمَـاءَ وَيَعْـرُو الْجَفْـنَ مِنْهَـا ذُبُـولُ

وقال على لسان عاشقة:

هَـوَى بِقَلْبِي هَـوَاكُمْ فَانْثَنَـتْ كَبَـدِي وَأَنَّ صَـدْرِي مِـنَ الأَشْـوَاقِ وَالْكَمَـدِ
وَأَبْرَقَـتْ مِـنْ صِـدَامٍ كُـلُّ جَارِحَـةٍ فَأُبْرِئْتُ مِنْ سُقَامٍ قَدْ بَـرَى جَسَـدِي
وَهَمْهَـمَ الرَّعْـدُ أثْـرَ الْبَـرْقِ فَارْتَعَـدَتْ فَرَائِصِـي حَـذَرًا مِـنِّي عَلَـى كَبَـدِي
دَعِ الْعَذَابَ لِمَنْ قَدْ ذَابَ مِنْ حَسَدٍ وَاخْلَعْ أَخَا الْغِيدِ ثَوْبَ النَّأْيِ وَالْحَرْدِ

وَارْحَـمْ حَلِيـفَ سِـقَاهِم سَـاقَهُ قَـدَرٌ   إِلَى الهَـوَى فَهَـوى عَمْـدًا وَلَمْ يَعُـدِ
رَامَ الغَـــرَامَ وَلَمْ يَعْلَـــمْ عَوَاقِبَـــهُ   فَهَـامَ تِيهًـا وَمَا فِي النَّفْسِ مِنْ جَلَـدِ
عَـن المَلَاحَـةِ قَـدْ زَاحَ اللِّثـامَ فَمَـا   لَاحَـتْ لِعَيْنَيْـهِ حَتَّى صَـاحَ وَا كَبَـدِي
تِلْكَ السِّهَامُ سِهَامُ اللَّحْظِ لَوْ نَشَبَتْ   فِي قَلْبِ أُسْدٍ لَمَا أَبْقَتْ عَلَى أَسَدِ
فَكَيْـفَ فِـيمَنْ غَـدَا مِـنْ نَارِ لَوْعَتِـهِ   تَـــرَاهُ وَهُـــوَ قَرِيـــبٌ مِثْـــلَ مُبْتَعِــدِ
وَهَكَـــذَا الحُـــبُّ لَا تَحْـيَى مَعَالِمُـــهُ   حَـتَّى يُمِيـتَ فَـلَا يَبْقَـى عَلَـى أَحَـدِ

وقال على لسان عاشق يخاطب طيرًا:

مَهْـلًا فَقَلْبِي لَا يَقْـوَى عَلَـى الْكَمَـدِ   طَيْرَ الأَرَاكِ كَفَى مَا هجتَ مِن كَبَدِي
يَحِـنُّ قَلْـبِي إِلَى نَجْـوَاكَ مَـا سَمِعَـتْ   أُذْنِي صَـدَاكَ فَقِـفْ مَهْـلًا وَلَا تُـزِدِ
أَرَاكَ تَبْكِـي عَلَـى إِلْـفٍ فَيُوحِشُـنِي   ذِكْـرُ الحَبِيـبِ بِلَيـلٍ زَائِـدِ السُّـهْدِ
تَبْكِـــي كَـــأَنَّ فِي الهَـــوَى شَـــرعٌ   وَيَهْجِمُ الدَّمْعُ فَوْقَ الخَدِّ مِنْ حَسَدِ
هُــوَ الْغَــرَامُ بِقَلْــبِيَ لَا يَــزَالُ وَهَــلْ   يَنْأَى الْهَوَى عَنْ فُؤَادِ الشَّيقِ الكَمدِ

وقال:

إِلَى كَمْ أُدَاوِي الْقَلْبَ مِنْ أَلَمِ الْبَلْوَى   وَأَشْكُو الـدَّهْرَ لَا يَرِقُّ لِذِي شَكْوَى
وَمَـن كَـانَ ذَا قَلْـبٍ يَطِـيرُ مَـعَ الْهَـوَا   فَـإِنِّي لَـهُ أَنْ يَتَّقِـي مَضَـضَ الْبَلْـوَى
خَلِيلَـي هَـذِي مُهْجَـتِي لَـوْ عَلِمْتُمَـا   غَـدَتْ كَبَـدِي مِن نَّارِ لَوْعَتِهَا تُشْـوَى
فَرِفْقًـــا بِهَـــا بِاللهِ غَـــدا بِهَـــا   عَسَـاهَا وَقَلْـبِي يَجْنَحَـانِ إِلَى النَّجْـوَى
فَـأَسْمَعُ مَـا لَا يَسْـمَعُ الْغَيْـرُ أَوْ أَرَى   بِنَجْوَاهِمَـا بَعْـضَ ارْتِيَـاحٍ إِلَى السَّـلْوَى

وَيَـذْهَبُ عَـنِّي مَـا كَتَمْتُ مِـنَ الْجَـوَى		خَلِيلَــيَّ إِنِّي بَعْــدَهُم أَرْتَجِــي صَــفْوا

وقال في وصف الجمال:

مَــا رَقِيــقُ الْفُــؤَادِ رَبُّ الشَّــمَائِلِ		غَيْــرُ صَــبٍّ نحـوَ المَحَاسِــنِ مَائِــل
مَــا تَــرَى الْحُسْــنَ سُــلَّمًا يَرْتَقِيــهِ		مِــن رفيــعٍ وَمِــنْ وَضِيــعِ الشَّــمَائِل
سُـــلَّمٌ يُبْلِـــغُ الأدِيـــبَ إِلَى أَرْفَـــعِ		قَـــــدْرٍ وَيَنْثَـــــنِي بِالجَاهِـــــل
أَوْدع الــذَّوْقَ فِي الْحِسَــانِ فَظَلَّــتْ		تَبْتَغِيــهِ النُّسَّــاكِ مِــنْ غَــيْرِ طَائِــل
وَتَبَــدَّتْ عَنْــهُ الْمَحَاسِــنُ تَحْكِــي		فِي سَمَــــاءِ الآدَابِ بَــــدْرًا كَامِــــل
صَـاحَ هَـلَّا خَـلَا فُـؤَادُكَ مِـن رَشـقِ		سِــــهَامٍ مِــــنَ اللِّحَــــاظ الْقواتــــل
خَــلِّ عَنْــكَ الوَقَــارَ وَاجْــنَحْ إِلَى		خَلْــعِ عَــذَارٍ مَــعَ الهَــوَاء مُتَمَايِــل
فَلَعَمْــرِي مَــا ذَاقَ قَلْــبُ مُحِــبٍّ		مِثْـلَ ذَاكَ القَلَـى بِتِلْـكَ الْمَجَاهِـل
يَــوْمَ كُنَّــا مِــنَ الشَّــبَابِ سَــكَارَى		يَــومَ كَــانَ المَشِــيبُ عَنَّــا غَافِــل

وقال:

أَهْــوَى الظِّبَــا وَيَحُــولُ دُونَ مَرَامِــي		شَــرَفٌ صَــبَوتُ إِلَيــهِ مُنــذُ فِطَـامِي
وَيُشَــوِّقُنِي ذِكْــرُ الْحَبِيــبُ فَــلَا أَرَى		لِي مُؤْنِسًــا غَــيرَ الفُــؤَادِ الــدَّامِي
قَلْــبٌ إِذَا هَــاجَ الغــرَامُ كَلُومَــةً		عَكَـسَ اللَّظَـى عَنْهَـا كَلِـيمُ غَرَامِـي
فَيَلُــوحُ لِي أَنَّ الْحَبِيــبَ مُجَالِســي		وَهْمًــا وَلَــيْسَ سِــوَى الْخَيَــالُ أَمَــامِي
يَبْــدُو الْخَيَــالُ كَأَنَّــهُ بِي شَــافِعٌ		عِنْــدَ الحَبِيــبِ فَتُشْــفَى آلَامِــي
غَلُــبَ الصَّــفَا جَفَــاءَهُ فَغَــدَا وَقَــدْ		رَسَمَــتْ مَحَاسِــنُهُ بِطَــرْفِي الهَــامِي

آيَاتِ دَمْــعٍ مَــا تَلَــوْتُ سُــطُورَهَا إِلَّا انجَلَــى وَجْــدِي وَخَــفَّ سَــقَامِي

فَأَبِيــتُ لَا أَشْــكُو لِقَــاءَ جَمِيلَــةٍ وَيَبِيــتُ يُشْــجِينِي نُحُــولُ عِظَــامِي

وقال:

تَـرَاءَتْ وَرَاءَ السُّـتْرِ مَكْشُـوفَةَ السَـترِ فَشَقَّتْ بِلَحْظِهَا الْحِجَابَ عَنِ السِّرِّ

وَسَــارَتْ فَصَــارَ العَاشِـقُونَ لِحُسْـنِهَا أَسَارَى وَأَضْحَى الْحُرُّ يُرَحِّبُ بِالأَسْرِ

وَمَــا خَطَــرَتْ إِلا لِكَسْــرِ خَــوَاطِرٍ وَنَشَرَ خُزَامَى حُبَّهَا فِي الْهَوَى الْعُذْرِي

وَدَارَتْ أَحَادِيــــثٌ عَــــنْ الــــتِي بِهَا قَـدْ صبتُ شَـوْقًا إِلَيْهَـا وَلَمْ تَـدْرِ

فَمَــا سَمِعَــتْ إِلَّا صَــدَاهَا وَمَــا رَأَتْ سِـوَاهَا فَهَامَـتْ فِي الْمَهَامَـةِ وَالقَفْـرِ

وَنَادَتْ وَمَـا مِـنْ مُسْـتَجِيبٍ لِسُـؤْلِهَا سِوَى طَلَلٍ حَطَّـتْ عَلَيْـهِ يَـدُ الـدَّهْرِ

فَجَادَتْ بِدَمْعٍ هَاجَهُ الشَّوْقُ وَالأَسَى وَلَمْ تَـدْرِ أَنَّ الحُـبَّ يَـذْهَبُ بِالعُمْـرِ

فَحَنَـتْ لِشَـكْوَاهَا الْحَمَـامُ وَسَـاءَلَتْ بِتَغْرِيـدِهَا تِلْـكَ القُلُـوبَ عَـنْ الأَمْـرِ

فَقَالَـــتْ أَلا تَــدْرُنَّ أَنَّ مَسَــاكِنًا أَقَمْنَا بِهَا مِن قَبْلُ صَارَتْ إِلَى الْقَبْرِ

أُنَاسٌ نَبــلَ اللِّحَــاظُ فَــرَاغَهُمْ ظِبَاهَا وَلَمْ يَخْشَوْا مِنَ البِيضِ وَالسُّمْرِ

أَلَا فَانْــدُبِي يَا طَيْــرُ قَوْمًــا تَوَلَّهُــوا فَمَـاتُوا وَقَلْبًـا ذَابَ عَـنْ عِلَّـةِ الْهَجْـرِ

وقال:

أَطَــائِرُ الْبَــينِ مَــا لِلْقَلْـبِ وَالْمُهْــجِ بَعْـدَ الأَحِبَّـةِ تَشْـكُو لَوْعَـةَ الـوَهْجِ

وَمَــا لِطَــرْفِي بَعْــدَ الْبُعْــدِ مُنْــزَعِجٌ يَـذْرِي الـدُّمُوعَ وَلَكِـنْ غَيْـرَ مُنْـزَعِجِ

يَلُــوحُ فِي هَالَــةٍ حَمْــرَاءَ مَــا سَــطَعَتْ لَوْلَا لَظًى عَنْ دِمَاءِ الْقَلْبِ وَالْمُهْجِ

وَيَنْثَــنِي نَاثِــرًا دَمْعِــي فَأَحسَــبُهُ قِــلَادَةً رَصَــعتْهَا فِتْنَــةُ الــدَّعْجِ
كَفَــى بِرِقَّــةِ قَلْــبِي شَــافِعًا وَبِمَــا أَرَاقَ طَـرْفِي وَمَـا أَلْقَـاهُ مِـنْ حَـرَجِ
يَا زَهْـرَةً صَـادَهَا مُـرُّ النَّسِـيم ضُـحًى فَغَـادَرَتْ بَعْـدَهَا الأغْصَـانَ فِي عِـوَجِ
مُـنِّي عَلَيْنَـا بِنَشْـرِ شَـذَاكِ عَسَـى يَحْـيَ الْفُـؤَادُ فَيَرْضَـى مِنـكِ بِالأرجِ
وَسَائِلِي السُّحُبِ عَنْ دَمْعِي وَعَنْ كَبَدِي سَـلِي غُصَـينَ الـرُّبَى بِاللهِ إِنْ تعجِـي
يُجِيــبُ عَــنِّي بِأَنِّ وَالْهَــوَا شَــرْعٌ مِـنَ الهَـوَى غَيْـرَ رَاجٍ مِنْحَـةَ الفَـرَجِ
وَإِن يَــدُمْ أَبَــدًا هَــذَا الْفــرَاقُ لَنَــا فَمَا عَلَى الرُّوحِ بَعْدَ الصَّدِّ مِنْ حَرَجِ

وقال:

خُـذِي فُـؤَادِي فِـدَاءَ الْعَاشِـقِ الْبَـاكِي عَلَـى زَمَـانٍ تَقَضَّـى بـيْنَ نُعْمَـاكِ
وَأَيْقَنَــنِي أَنَّـنِي مَـا جُـدتُّ مُفْتَـدِيًا بِالْقَلْــبِ إِلَّا لَأنَّ الْقَلْــبَ يَهْــوَاكِ
نَأَيْـتِ تِيهًـا فَتَـاهَ الْعَقْـلُ وَا أَسَـفِي وَاشْـتَدَّ مِـنِّي الْهَـوَى شَـوْقًا لِـرُؤْيَاكِ
لَمْ يَكْــفِ أَنَّ بُعَــادًا عَنْــكِ تَيَّمَــنِي حَـتَّى جَـذَبتَ فُـؤَادِي بَـينَ أَحْشَـاكِ
رِفْقًـا بِحَـالِ فَـتَى فَاضَـتْ مَدَامِعُـهُ فَمَــا أَهَــاجَ لَظَاهَــا قَلْبًــا سَــقَّاكِ
سَـأَلتُ عَـنْ عِلَّـتِي أَسَى الغَـرَامِ ضُـحًى فَقَــالَ إِنَّ شَــفَائِي مِــنْ لَمْيَــاكِ
نَعَـمْ، فَمَـا كَـانَ أَحْلَـى مَـا أَشَـارَ بِـهِ لَــو لَمْ يَكُــنْ مُجْتَنِيــهِ ثُغْــرٌ فَنَــاكِ
فَكَمْ بِلَحْظَيْكَ ذَاتَ الحُسْنِ قَدْ قُتِلَتْ فِي الحُـبِّ نَفْـسٌ وَكَـمْ رَاقَـتْ حميَـاكَ
كَفَـى بِرَبِّـكَ كُفِّـي عَـنْ قَتِيـلِ جَـوًّى يَكْفِيـهِ مَـا فَعَلَـتْ بِالْقَلْـبِ عَيْنَـاكِ
إِنْ شِئْتِ صَفْحًا فَقَلْبِي قَدْ صَفَا طَرَبًا أَوْ رُمـتِ قَتْلِـي فَعَبْـدٌ مِـن رَعَـايَاكِ

وقال:

سِلِي لَاعِجَ الأَشْوَاقِ عَنْ هَائِجِ الوَجْدِ ... وَعَـنْ مَـدْمَعِي الْهَـامِي سَـلِي طَلْعَـةَ الْـوَرْدِ
يُجِيــبُ فُــؤادِي عَنهُمَــا أَن مــا هَمِّــي ... مِنَ الطَّرْفِ بَعدَ البُعدِ بَعضَ الذِي عِندِي
نَأَيــتُ وَقَلِــبِي لَا يَــزَالُ مِــنَ الهَــوَى ... كَلِيمًــا فَلَــمْ يَقْــوَ عَــنْ أَلَمِ البُعْــدِ
كَــأَنَّ فُــؤادِي فَــوقَ نَارٍ مِــنَ الهَــوَى ... يَزِيــدُ لَظَاهَــا كُلَّمَــا زِيــدَ مِــنْ وَجِــدِي
كَفَــاكِ سُــلَيمَى مَـا تَــرِيقِينَ مِــنْ دَمِـي ... دَوْمًـا وَمِـنْ دَمْعِـي السَّـخِينِ عَلَـى خَـدِّي
أَيَجْمُــــلُ فِي شَــــرْعِ الصَّــــبَابَةِ أَنَّــــهُ ... يُجَــازِي أَسِــيرَ الــوُدِّ بِالنَّــأْيِ وَالصَّــدِّ

ملحق بالكتاب

القسم الأول

في الشجاعة

قال أبو مسلم لأحد قواده: إذا عرض لك أمر نارعك فيه منازعان أحدهما يبعث على الإقدام والآخر على الإحجام فأقدم؛ فإنه إدراك للثأر وأنفى للعار.

الحث على استعمال الخدعة والحيلة والتحرز في الحرب

قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة».

وقال أحدهم: «كن بحيلتك أوثق منك بشدتك، وبحذرك أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حرب للمتهور غنيمة للمنحدر».

وقيل: «المكر أبلغ من النجدة».

وقيل: «حازم في الحرب خير من ألف فارس؛ لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين والحازم قد يقتل جيشًا بحزمه وتدبيره».

حثّ من دُعِي إلى المبارزة على الإجابة

قال أمير المؤمنين لأحد أبنائه: «لا تدعون أحدًا إلى البراز ولا يدعونك أحدٌ إلا أجبته، فالداعي باغٍ والباغي مصروع».

المنازل وقت المنازلة

قال المهلل:

لَمْ يُطِيقُـــوا أن يَنْزِلُـــوا فَنَزَلْنَـــا   وَأَخْـو الحَـرْبِ مَـنْ يُطِيـقُ النُّـزُولا

وقال:

جَعَلْـــتُ يَـــدِي وِشَـــاحًا لَـــهُ وَبَعْـــضُ الْفَـــوَارِسِ لَا يُعْتَنَـــقُ

الحث على الثبات والنهي عن الإحجام والتفكر في العواقب

السلامة في الإقدام والحِمام في الإحجام، قال الكلبي:

إِذَا الْمَـرْءُ لم يَغْـشَ الْكَرِيهَـةَ أَوْشَـكَتْ حِبَـالُ الهُوَينَـا بِالْفَـتَى أنْ تُقَطَّعَـا

وقال أبو بكر لخالد بن الوليد لما أخرجه لقتال أهل الردة: «احرص على الموت تُوهَب لك الحياة».

وقيل: «من تفكَّر في العواقب لم يشجع».

الحث على التفكر قبل التقدم

قيل: «من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرور».

المتبجِّح بثباته

قيل لعباد بن الحصين: إن جالت الخيل فأين نطلبك، قال: حيث تركتموني، وقيل لبعض بني المهلب: بمَ نلتم ما نلتم؟ قال: بصبر ساعة، وقال هدبة:

قَـوْمٌ إِذَا نَزَلُـوا الْـوَغَى لَمْ يَسْـأَلُوا حَـذْرَ الْمَنِيَّـةِ عَـنْ طَرِيـقِ الْهَـارِبِ

المبادرة إلى الحرب غير مبالٍ بها

وصف أعرابي قومًا فقال: ما سألوا قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم. وسأل رجل يزيد بن المهلب فقال: صف لي نفسك، فقال: ما بارزت أحدًا إلا ظننت أن روحه في يدي.

ولما بلغ قُتيبة حد الصين قيل له: قد أوغلت في بلاد الترك، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فقال: بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة، فقال الرجل: حيث شئت فهذا عزم الله لا يفله إلا الله.

وقيل لعبد الملك: مَن أشجع العرب في شعره؟ فقال: عباس بن مرداس حيث يقول:

أَشُدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي ... أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهُ

وقيس بن الحطيم حيث يقول:

وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الْعَوانِ مُوكَّلٌ ... بِإِقْدَامِ نَفْسٍ لَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا

والمزيني حيث يقول:

دَعَوْتُ بَنِي قُحَافَةَ فَاسْتَجَابُوا ... فَقُلْتُ رِدُوا فَقَدْ طَابَ الْوُرُودُ

وأم الهيثم التميمية:

تَمْشِي إِلَى أَسَلِ الرِّمَاحِ وَقَد تَرَى ... سَبَبَ المَنِيَّةِ مَشْيَةَ المُخْتَالِ

وقال البحتري:

تُسْرِعُ حَتَّى قَالَ مِنْ شَهِدَ الْوَغَى ... لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبَ

المتوصل إلى الشِّدة بالرَّخاء

قيل: نيل المعالي هول العوالي، ودرك الأحوال في ركوب الأهوال، بالصبر على لبس الحديد تتنعم في الثوب الجديد، وفي الصبر على النوائب إدراك الرغائب.

وقال يزيد بن المهلب يومًا لجلسائه: أراكم تعنفونني في الإقدام، فقالوا: أي والله، إنك لترمي نفسك، فقال: إليكم عني، فوالله لم آتِ الموت من حبه،

ولكنني آتيه من بغضه ثم تمثَّل:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ   لِنَفْسِي حَيَاةً قَبْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

الخوف منه

قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في كتيبة توارت خوفًا منه.

ونظر إليه رجل وقد شق العسكر فقال: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي.

تأثير الجيش

بعث أمير في طلب قوم رجلًا، فما لبث أن جاء برجل أطول ما يكون، فقال: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أن آخذه، ووقع في قلبه أنه مأخوذ، فنصرني عليه خوفه وجراءتي.

وقيل لأمير المؤمنين: بم غلبت الأقران؟ قال: بتمكن هيبتي في قلوبهم.

الموفي على جماعة والغالب لهم

قيل للإسكندر: إن في عسكر دار ألف مقاتل فقال: إن القصَّاب الحاذق وإن كان واحدًا لا يهوله كثرة الغنم.

وقال أبو تمام:

قَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَزَهُمْ   جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ

المشبَّه بالأسد

ووصف أعرابي آخر فقال: هو أشد صولة من أسد، وأبلغ منعة من الحصن الحصين.

ووصف آخر صاحبه فقال: هو أشد إقدامًا من أسد، وتوثبًا من فهد.

المُتحمِّل للشدائد الصابر لها

وصف رجل آخر فقال: كان ركوبًا للأهوال غير ألوف للظلال.

فرسان العرب

قال أبو عبيدة: فرسان العرب المجمع عليهم دريد بن الصمة وعنترة العبسي وعمرو بن معدي كرب، وقد عُدَّ من أكابرهم عامر بن الطفيل وعتيبة وعنبسة بن الحارث وزيد الفوارس والحارث بن ظالم وعباس بن مرداس وعروة بن الورد، ومن فتاك الجاهلية الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شرًّا وحنظلة بن فاتك الأسدي، ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي، وكل واحد منهم كان أشد عدوًا من الظبي، وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه، ولا يحملون زادًا، وكان أحدهم يأخذ بيض النعام في الربيع فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق ومنهم الشنفرى.

من لا يخضع في شدَّة

قيل لأعرابي اشتد به المرض: لو تبت، قال: لست أعطي على الذل، إن عافاني تبت وإلا أموت.

وسأل عمرو بن عبد العزيز ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير فقال: ما رأيت نفسًا أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع.

وعن أمه أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلي فسقطت حية فتطوَّقت بابنه هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلي فما التفت

ولا عجل، فلما فرغ قال: ما بالكم؟

المؤثر الموت في العز على الحياة في الذل

لما وقعت الهزيمة على مروان بن مُحَمَّد آخر خلفاء بني أمية أهاب بالناس ليرجعوا فلم يلووا، فانتضى سيفه وقاتل مستقتل فقيل له: لا تَهلك نفسك ولك الأمان، فتمثل بأبيات قالها الحسين يوم قُتل وهي:

أَذُلُّ الْحَيَـــاةِ وَذُلُّ الْمَمَــــاتِ وَكُـــلًّا أَرَاهُ طَعَامًـــا وَبِـــيلا

فَـــإِنْ كَـــانَ لَا بُـــدَّ إِحـــدَاهُمَا فَسَـيْرِي إِلَى الْمَـوْتِ سَـيْرًا جَمِـيلَا

وقال المتنبي:

فَاطْلُـبِ الْعِـزَّ فِي لَظَـى وَذَرِ الـذُّلَّ وَلَـــوْ كَـــانَ فِي جِنَـــانِ الْخُلُـــودِ

النهي عن مخافة القتل والحث على تصور الموت

قيل لعلي: أتقاتل أهل الشام بالغداة وتظهر في العشي في ثوب ورداء؟ فقال: أبالموت أخاف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليَّ.

قال أبو فراس:

تَهُـونُ عَلَيْنَـا فِي الْمَعَـالِي نُفُوسُـنَا وَمَنْ خَطَـبَ الْعَلْيَـاءُ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ

قوم تسلط عليهم القتل فلم يفنهم

قال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأحصدنكم حصدًا، فقالت: أنت تحصد والله يزرع، فانظر أين قدرة المخلوق مع قدرة الخالق، ولم يظهر من عدد القتلى ما ظهر في آل أبي طالب وآل المهلب وفيهم من الكثرة ما ترى.

من لم يُبالِ بأن يقتل

قال عبد الله بن مسعود: عثرت بأبي جهل في الجرحى وقد قطعت يده

ورجله، فقلت: يا عدو الله، فقال: سيفك كهام، فهاك سيفي فخز رأسي من عرشي؛ فإنه أهون عند من يراه.

وأسرَّت أم علقمة الخارجية وأُتي بها إلى الحجاج فقيل لها: وافقيه في المذهب، فقد يظهر الشرك بالمكر، فقالت: قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين، فقال لها: قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء، فقالت: لقد خفت الله خوفًا صيرك في عيني أصغر من ذباب، وكانت منكسة فقال: ارفعي رأسك وانظري إليَّ، فقالت: أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه، فقال: أهل الشام، ما تقولون في دم هذه؟ قالوا: حلال، فقالت: لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك، حيث استشارهم في أمر موسى، فقالوا: أرجئه وأخاه فقتلها.

وكان حكيم بن حنبل قد قُطعت رجله يوم الجمل فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله، وقال:

يَا نَفْــــــسُ لَا تُرَاعِــــــي   إِنْ قُطِعَــــــتْ كرَاعِــــــي

إِنَّ مَعِي ذِرَاعِي

وقال أعرابي لابنه وقد قُدِّم للقتل: يا بني أصفف رجليك وأصرر أذنيك ودع ذكر الله تعالى في هذا الموضع فإنه فشل.

الجواد بنفسه في الحرب المستعد للموت

قالت الخنساء:

تَهِــينُ النُّفُــوسُ وَهَــوْنُ النُّفُــوسِ   يَــــوْمَ الْكَرِيهَــــةِ أَوْفَى لَهَــــا

وقال آخر:

رَخِــيصٌ عِنْــدَهُ المُهْــجُ الغَــوَالِي كَــأَنَّ المَــوْتَ فِي فَكَّيْــهِ شَــهْدُ

قال أبو تمام:

يَسْـــتَعْذِبُونَ مَنَـــايَاهُمْ كَـــأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُـونَ مِـنَ الـدُّنْيَا إِذَا قُتِلُـوا

قال عبد الله بن أبي عيينة:

وَأَبِيِّ مِــن قَــوْمٍ كَــأَنَّ نُفُوسَــهُمْ بِهَا أَنفٌ إِنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالـدَّمَا

تصبر النفس في الحرب

قال الفرزدق وقد لقيه أسد:

لَمَّـا سَمِعْـتُ لَـهُ هَمَـاهِمْ أَجْهَشَـتْ نَفْسِــي إِلَيَّ تَقُــولُ أَيْــنَ فــرَارِي

فَرَبطتُّ نَفْرَتَهَا وَقُلْتُ لَهَا اصْبِرِي وَشَــدَّتْ فِي ضَــنْكِ المُقَــامِ إِزَارِي

وقال أبو تمام:

وَحَـنَّ لِلمَـوْتِ حَـتَّى ظَـنَّ مُبْصِـرُهُ بِأَنَّــهُ حَــنَّ مُشْــتَاقًا إِلَى وَطَــنِ

لَوْ لَمْ يَمُتْ تَحْتَ أَسْيَافِ الْعِدَا كَرَمًا لَمَاتَ إِذَا لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الحُزْنِ

المستأنف من موته حتف أنفه

قال عبد الملك الحارثي وأجاد:

وَمَـا مَـاتَ مِنَّـا سَـيِّدٌ حَتـفَ أَنفِـهِ وَلَا طَـلَّ مِنَّـا حَيْـثُ كَـانَ قَتِيـلُ

تَسِـيلُ عَلَـى حَـدِّ السَّـيْفِ نُفُوسُـنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ

وَيَسْتَحْسِنُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ رَاحَةٌ وَأَتْعَـبَ مَيِّـتٍ مَـنْ يَمُـوتُ بِـدَاءِ

مخاوض الحرب مقتول لا محالة

قال تأبط شرًّا:

وَمَـنْ يُغْـرِ بِالأَعْـدَاءِ لَا بُـدَّ فِي جُنـدِ ... سَيُلْقِي بِهِم من مصْرَعِ المَوْتِ مصْرَعًا

وقال آخر:

وَمَـن يُكْثِـرُ التطـوَافَ فِي جُنـدِ خَالِـدِ ... لَـدَى الـرُّومِ مَصْـبُوبًا عَلَيْـهِ دُرُوعُهَـا

فَـلَا بُــدَّ يَوْمًــا أَنْ تُحَــدِّثَ عُرْسَــهُ ... إِذَا حَــدَّثَتْ يَومًــا حَـدِيثًا يُرَوِّعُهَـا

قصد العدا مجاهرةً

أشار على الإسكندر أصحابه أن يبغت الفرس فقال: ليس من الإنصاف أن أجعل غلبتي سرقة.

قال السري:

وَيَجْعَــلُ بِشْــرَهُ نَــذْرَ الأعَــادِي ... فَيَبْعَثُهَــا يَمِينًــا أَوْ شِمَــالًا

وَلَمْ يُنْــذِرْهُم مقــةً وَلَكِــن ... ترفــعُ أنْ يَنَــالَهُم اغْتِيَــالًا

الضاحك في الحرب والعابس فيها

توصف الحرب تارة ببشاشة الوجه وطلاقته نحو قول النميري:

يَفْتَـرُ عِنْـدَ لِقَـاءِ الحْـرْبِ مُبْتَسِـمًا ... إِذَا تَغَيَّـرَ وَجْـهُ الْفَـارِسِ الْبَطَـلِ

وتوصف تارة بالعبوس، قال أبو تمام:

قَـدْ قُلِّصَـتْ شَـفَتَاهُ مِـنْ حَفِيظَتِـهِ ... فَخُيِّـلَ مِـنْ شِـدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِـمَا

المقاتل عن حريمه

ليم الإسكندر في مباشرته الحرب بنفسه فقال: ليس من الإنصاف أن يُقتل

قومي عني وأترك المقاتلة عنهم وعن أهلي ونفسي.

قال عنترة:

وَمَرْقَصَــــةٌ رَدَدتُ الخَيْــــلَ عَنْهَــــا ... وَقَــــدْ هَمَّــــتْ بِإِلْقَــــاءِ الزِّمَــــام

قصد الغارات

كان العرب إذا قصدوا غارة ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فإذا انتهوا إلى المعركة ركبوا الخيل.

المستكف من السلب

قال أعشى همدان:

وَأَرَى مَغَــانِمَ لَــوْ أَشَــاءُ حَوَيْتُهَــا ... فَيَصُــدُّنِي عَنْهَــا حَيَــا وَتَعَفُّــفُ

وقتل أمير المؤمنين رجلًا، فأراد قنبر أن يأخذ سلبه فقال: يا غلام، لا تعر فرائسي.

وقال أبو تمام:

إِنَّ الأُسُــودَ أُسُــودُ الغَــابِ هِمَّتُهَــا ... يَـوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي المَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

وصف الشبان والكهول في الحرب

قال رجل لرجل: لأغزونك بمرد على جرد، فقال: لألقينك بكهول على فحول.

تفضيل الشبان في الحرب

قال طاهر بن الحسين:

هَيــبٌ إِذَا لَمْ يَكُــنْ حَــرْبٌ بِمُكْتَهِــلٍ ... مُجَــرِّبٍ قَوْلُــه يَكْفِــي مِــنَ الْعَمَــلِ

وَأغْـشَ اللقَـاءَ إذْ كَـانَ اللِّقَـاءُ بِـهِ   سَـفْكُ الـدِّمَا بِحَـدِيثِ السِّـنِّ مُقْتَبـلُ
فـإذا ذَا السِّــنُّ يُلقِــي حَتفَـهُ أَبَـدًا   مُمَــثَّلًا بَــينَ عَيْنَيْــهِ مِــنَ الوَجَــلِ
وَذُو الشَّــبَابِ لَــهُ شَــأْوٌ يُمَاطِلُــهُ   فَـلَا يَـزَالُ بَعِيـدَ الهَـمِّ وَالوَجَـلِ

الخيول السريعة في الحرب

صُـقُورٌ عَلَـى أَثْبَـاجِ جُـرْدٌ قَـوَابِسُ   وَأُسْـدٌ إِذَا مَـا كَـانَ يَـوْمَ نُزُولِهَـا

تعويد الفرس على حبسه في المعركة

قال النابغة:

وَنَحْـــنُ أناسٌ لَا نَعُـــودُ خَيْلَنَـــا   إِذَا مَـــا التَقَينَـــا أنْ تَحِيـــدَ وَتَنفِـــرَا

وقال أبو تمام:

إِذَا خَرَجْـتَ مِـنَ الْغَمَـرَاتِ قُلْنَـا   خَرَجْـتَ حَبَائِسًـا إِنْ لَمْ تَعُــودِي

كثرة الجيش

قيل: كجنح الليل أردف بالغيوم.

وقال المتنبي:

بِجَـيْشٍ لِهَـامٍ يُشْـغِلُ الأَرْضُ جَمْعَـهُ   عَـنْ الطَّـيْرِ حَـتَّى مَـا يَجِـدْنَ مَنَـازِلَا

القسم الثاني

في التهديد

من هدده السلطان فاستعان بالله

لقي الحجاج مُحَمَّد بن الحنفية فقال له: نفسك فلأريقن دمك، فقال مُحَمَّد: إن لله في كل يوم كذا كذا ألف نظرة يقضي في كل كذا كذا ألف، فعسى أن يشغلك بأمره.

تهديد سلطان شديد الوطأة

خطب الحجاج فقال: أيها الناس، من أعياه داؤه ومن استعجل أجله فعليَّ أن أعجله، إن الحزم والجد ألبساني سوء ظني وجعلا سيفي سوطي فنجاده في عنقي وقائمه في يدي.

وأُحضر عبد الملك بن صالح للرشيد من حبسه، فلما مثل بين يديه أنشد الرشيد:

أُرِيـــدُ حَيَاتَـــهُ وَيُرِيـــدُ قَتْلِـــي عُـذَيْرُكَ مِـنْ خَلِيلِـكَ مِـنْ مُـرَادِ

والله لكأني أنظر إلى شبوبها وقد همع، وإلى عارضها وقد لمع، وكأني بالوعيد وقد أورى نارًا فأقلع عن براجم بلا معاصم ورءوس بلا غلاصم! مهلًا بني هاشم، فبي سَهُلَ الوعر وصفا الكدر، وألقت إليكم الأمور آنفًا أَزِمَّتَهَا فحذارِ من حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل، فقال عبد الملك: اتَّقِ الله فيما ولاك وراقبه فيما استرعاك، ولا تجعل الكفر موضع الشكر والعقاب موضع الثواب،

ولا تقطع رحمك بعد صلتها، وقد جمعت القلوب على محبتك وأذللت هِمم الرجال لطاعتك، وكنت كما قال الشاعر:

وَمُقَــــامٌ ضَــــيِّقٌ فَرَّجْتُـــــهُ   بِلِسَــــانٍ وَبَيَــــانٍ وَجَـــــدَلِ
لَــــوْ يَقُـــومُ الْفِيــــلُ أَوْ فَيَّالُـــهُ   زَلَّ عَـــنْ مِّثْــلِ مُقَــامِي وَزَحَــلِ

حث من تعرَّض لك أن يجرِّبك

قال ابن أبي عيينة:

سَـــيَعْلَمُ إِسْمَاعِيـــلُ أنَّ دَعْـــوَتِي   لَـهُ رِيـقُ أَفْعَـى لَا يُصَـابُ دَوَاؤُهَـا

من أوعد وقدم الإنذار

كتب إبراهيم بن العباس الصولي إلى أهل حمص: أمَّا بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى استعمال ثلاث تقدم بعضهن على بعض، الأولى تقديم تنبيه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا ينفع لحسم الداء غيرها.

أَنَاةٌ فَـإِن لَّمْ تُغْـنِ أَعْقَـب بَعْـدَهَا   وَعِيـدًا فَـإِن لَّمْ يَجِـدْ أَغْنَـتْ عَزَائِمُـه

قال الشاعر:

ذَرُونِي ذَرُونِي مَـــا كَفَفْـــتُ فَـــإِنَّنِي   مَـتَى مَـا تُهَيِّجُـونِي تَمِيـدُ بِكُـمْ أَرْضِـي
وَأُنْهِــضُ فِي سَــرْدِ الْحَدِيــدِ عَلَــيْكُمُ   كَتَائِبَ سُودًا طَالَمَا انتَظَرَتْ نَهْضِي

من يناوبه من لا يبالي به

أبرق رجل لآخر وأرعد فلما زاد أنشد:

قَـدْ هَبَّـتْ الـرِّيحُ طُولَ الـدَّهْرِ وَاخْتَلَفَـتْ   عَلَـى الجِبَـالِ فَمَـا نَالَـتْ رَوَاسِـيه

تهدد من لا يُبالي بتهديده

قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين: لولا شيء لأخذت رأسك، فقال: أجل ذلك الشيء سيفي، وقال:

تُوَاعِـــــدُنِي لِتَقْتُلَـــــنِي نُمَيْـــــرٌ مَـتَى قَتَلَـتْ نُمَيْـرٌ مَـنْ هَجَاهَـا

قلة غناء الوعيد

قيل: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد.

وقال الشاعر:

مَهْــلًا وَعْيــدِي مَهْــلًا لَا أبَالُكُــمْ إنَّ الْوَعِيـدَ سِـلَاحُ الْعَـاجِزِ الحُمْـقِ

وقيل: من علامات العاقل ترك التهدد قبل إمكان الفرص، وعند إمكانها الوثوب مع الثقة بالظفر.

القسم الثالث

في فضل الأسلحة

قال النبي ﷺ: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

وقيل: السيف حرز إذا جُرد وهيبة إذا أغمد.

وقيل: الشرف مع السيف.

وقال جعفر بن مُحَمَّد: السيف مفتاح الجنة والنار.

ووصفه بعضهم فقال: رئيس لهوه قطف الرءوس، ضحوك عبوس، وهزله خطف النفوس.

قال المتنبي:

وَالمَشْـــرَفِيَّةُ لا زالَـــت مُشَـــرَّفَةً دَواءُ كُــلِّ كَـريمٍ أَو هِـيَ الوَجَــعُ

تفضيل السيف على القلم

قال المتنبي:

حَـتَّى رَجعْـتُ وَأَسْـيَافِي قَوَائِـلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ

اكْتُبْ بِنَا أَبَـدًا بَعْـدَ الْكِتَـابِ بِـهِ فَإِنَّمَـا نَحْـنُ لِلأَسْـيَافِ كَالخَـدَمِ

وقال أبو تمام:

السَّـيفُ أَصْـدَقُ أَنبَـاءً مِـنَ الْكُتُـبِ فِي حَـدِّهِ الحَـدُّ بَـينَ الجِـدِّ وَاللَّعِـبِ

وفي ضده:

قيل للكاتب: إلام تدل بهذه القصبة؟ فقال: هو قصب، ولكنه يقطع العصب، إن القلم يقطع قضاء السيف ويفسخ حكم الحيف ويؤمن مسالك الخوف.

من في سيفه ورمحه الموت

قال ابن الحاجب:

لَوْ قِيلَ لِلْمَوْتِ انتَسِبْ لَمْ يَنْتَسِبْ ... يَوْمَ الوَغَى إلَّا إلَى صِمْصَامِهِ

وقال شاعر آخر:

سُيُوفُهُمْ يَوْمَ الْوَغَى ... يَلْعَبْنَ بِالأرْوَاحِ

وقال ابن المعتز:

لَنَا صَارِمٌ فِيهِ المَنَايَا كَوَامِنُ ... فَمَا يُنتَضَى إلا لِسَفْكِ دِمَاءُ

السيوف الماضية

قيل: كيف وجدت سيفه؟ فقال: هو على الأرواح كالأَجَلِ المُتَاح.

وقال إسحاق بن خلف:

أَلْقَى بِجَانِبِ أَخْضَرٍ ... أَمْضَى مِنَ الأجَلِ الْمُتَاح

وَكَأنَّمَا ذَرَّ الْهَبَا ... ءَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَاح

وقال البحتري:

يَغْشَى الْوَغَى وَالتِّرْسُ لَيْسَ بِجَنَّةٍ ... مِنْ حَدِّهِ وَالدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقَلِ

مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا أَمْضَى ... لَمْ يَلْتَفِت وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ

السيوف المصقولة

قال أبو الحيري:

وَإِذَا مَـا سَـلَلتَهُ بَهَـرَ الشَّـمْسَ شُـعَاعًا فَلَـمْ تَكَـدْ تَسْـتَبِين

وَكَـأَنَّ الفِرِنـدَ وَالرَّوْنَـقَ البَـا دِي عَلَـى صَـفْحَتَيْهِ مَـاءَ مَعِـين

قال ابن المعتز:

فِي كَفِّـهِ عَضْـبٌ إِذَا هَـزَّهُ حَسِـبْتَهُ مِـنْ خَوْفِـهِ يَرْتَعِـدُ

السيوف المتفللة من الضرب

وَلَا عَيْبَ فِـيهِمْ غَيْـرَ أَنَّ سُـيُوفَهُم بِهِـنَّ فُلُـولٌ مِـن قِـرَاعِ الْكَتَائِـبِ

وقال دعبل:

إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِاللجِينِ سُيُوفَهُم رَددتُ سُـيُوفِي بِالـدِّمَاءِ حَوَالِيَـا

وبضده هجاء عمارة بن عقيل:

وَلَا عَيْـبَ فِيـهِ غَيْـرَ أَنَّ جِيَـادَهُ مُسَـلَّمَةٌ لَيْسَـتْ بِهِـنَّ كَلُـومُ

السيوف المتضرجة بدم المحارب

قال ابن الرفاء:

يَكْسُـوهُ مِـنْ دَمِـهِ ثَـوْبًا وَيُلْبِسُـهُ ثِيَابَـهُ فَهُـوَ كَاسِـيهِ وَسَـالِيه

الكتابة بالطعن والضرب

قال أحد الكتَّاب: جبينه طرسٌ بالصفاح منمَّق وبالرِّماح محبَّر.

وقال آخر: خط ينمقه الحسام على جبينه.

تناول الرءوس بالرماح

قال البحتري:

قَـوْمٌ إِذَا شَـهِدُوا الكَرِيهَـةَ صَـيَّرُوا ضَـمَّ الرِّمَـاحُ جَمَـاجِمَ الفُرْسَـانِ

أخذه من مسلم:

يَكْسُو السُّيُوفَ رُءُوسَ النَّاسِكِينَ بِهِ وَيَجْعَـلُ الْهَـامَ تِيجَـانَ القَنَـا الـذبلِ

وقال جرير:

كَـأَنَّ رُءُوسَ الْقَـوْمِ فَـوْقَ رِمَاحِنَـا غَدَاةَ الـوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ

طعن الأحداق والفؤاد

قال أبو تمام: سنان بحبَّاتِ القلوبِ مُمتَّع.

وأجاد المتنبي بقوله:

كَـأَنَّ الهَـامَ فِي الهَيجَـا عُيُـونٌ وَقَـدْ طَبَعَـتْ سُـيُوفُكَ مِـن رِقَـادِ

وَقَدْ صُغْتُ مِنَ الأسِنَّةِ مِنْ هُمُومٍ فَمَـا يَخْطُـرنَ إِلَّا فِي الفُـؤادِ

وقال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فَأَصْبَحَ أَغْمَادُ السُّيُوفِ عُيُونَهُم وَأَكْبَادَهُم حُلِـي الرِّمَـاحِ الـذَّوَابِلِ

ضرب وطعن تبين منهما الرأس

قال الجزلي:

نَثَـرْتُ عَلَـى الْخَلِـيجِ الْهَـامَ حَـتَّى كَـأنَ حَصَـى الخَلِـيجُ طُلِـيَ وَهَـام

وقال الموسوي:

خَطَبْنَـا بِالظِّبَـا مُهْـجَ الأعَـادِي فَزُقَّـتْ وَالـرُّءُوسُ لَهَـا نثَـارُ

وقال الحارثي:

إِذَا مَـــا عَصَـــينَا بِأَسْـــيَافِنَا جَعَلْنَـــا الجْمَـــاجِمَ أَغْمَادَهَـــا

الحاذق بالطعن والضرب

قال الموسوي:

وَأَسْمَـــرَ يَهْتَـــزُّ فِي رَاحَـــتِي كَمَـــا هَـــزَّتْ القَلَـــمَ الإِصْـــبعُ

سقي الرماح والصفاح دم الأعداء

قال دعبل:

فَأَصْبَحَتْ تَسْتَحْيِي القَنَا أَنْ تَرُدَّهَا وَقَـدْ وَرَدَتْ حَـوْضَ المَنَـايَا صَـوَادِيَا

وقال السري:

إِذَا الحُسَامُ غَـدَا سَـكْرَانَ مُنْتَشِـيًا مِـنَ الـدِّمَاءِ سَـقَوْهُ أَنْفُسًا فَصَـحَا

الجاعل قواضيه بدل المعاتبة

قال عمرو بن إبراهيم:

لَـيسَ بَيـنِي وَبَـينَ قَـيسٍ عِتَـابٌ غَـيرُ طَعْـنِ الكِلَـى وَضَـرْبِ أَرقَـابِ

وقال آخر:

دَنَـــوْتُ لَـــهُ بِأَبْـــيَضَ مُشْـــرِفِي كَمَـــا يَـــدْنُو المُصَـــافِحُ لِلسَّـــلَامِ

وصل السيوف

يُروى أن فتى من الأزد دفع إلى المهلب بن أبي صفرة سيفًا له وقال: كيف ترى سيفي يا عم؟ فقال المهلب: سيفك جيد إلا أنه قصير، فقال: أصله بخطوة، فقال: يا ابن عمي المشي إلى الصين على أنياب الأفاعي أسهل من تلك

الخطوة، ولم يقل المهلب هذا جبنًا، وإنما أراد توجيه الصورة.

قال الشاعر:

نَصْلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصَرنَ بِخَطْوِنَا قَــدَمًا وَنَلْحَقَهَـا إِذَا لَمْ تَلْحَـقِ

وقال آخر:

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَـانَا إِلَى أَعْـدَائِنَا فَنُضَـارِبُ

وصف شجاع ذي رماح

سئل أعرابي عن قوم فقال: أسود الغاب تحمل غابها.

قال البحتري:

إِذَا بَـدَوا فِي حَرَجَـاتِ القَنَـا تَـرَى أُسُـودَ الأَرْضِ فِي غَابِهَـا

من جعل معاقلة الأسلحة والخيول

قال أبو الغمر:

إِذَا لَاذَ مِنْـهُ بِالحُصُـونِ عَـدُوُّهُ فَلَيْسَ لَـهُ إِلَّا السُّيُوفُ حُصُـونُ

وقال آخر: إن الخيول معاقل الأشراف.

وقال غيره: وليس لنا إلا الأسِنَّة معقل.

من لاذ بالقواضب واستعان بها

أَبَى قَوْمُنَا أنْ يَنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ قَوَاضِبُ فِي إِيمَانِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

قال الموسوي:

أَلِفَ الحُسَامُ فَلَو دَعَاهُ لِغَارَةٍ عَجْـلَانَ لَبَـاهُ بِغَـيْرِ نِجَـادِ

وقال طاهر بن الحسين:

سَـيْفِي رَفِيقِـي وَمُسْـعَدِي فَرَسِـي وَالْكَـأْسُ أُنْسِـي وَقَينَـتِي خَـدِّي

من استطاب تناول الأسلحة

قال البحتري:

مُلُـــــوكُ الرِّمَـــــاحِ خَـــــوَاطِرًا إِذَا زَعْزَعُوهَـا وَالـدُّرُوعُ مخَاصِـرَا

قال سلم بن قحفان:

فَطِيبُ الصَّدَأِ المَسوَّدِ أَطْيَبُ عِنْدَنَا مِـنَ المِسْـكِ ذافَتْـهُ أَكُـفٌّ ذَوَائِـفُ

النابي سيفه عن الضريبة

قال ورقاء بن زهير وقد ضرب فنبا سيفه:

رَأيـتُ زُهَـيرًا تَحْـتَ كَلْكَـلِ خَالِـدِ فَأَقْبَلْـتُ أَسْـعَى كَـالْعَجُولِ أُبَادِرُ

فَشلَتْ يَمِينِي يَـوْمَ أَضْربُ خَالِدًا وَيُحْصِّـنُهُ مِـنَ الْحَدِيـدِ المَظَـاهِرُ

وكان الفرزدق قد دُفع له سيف بحضرة سليمان بن عبد الملك ليقتل به روميًّا، فضربه فلم يعمل فيه، فقال جرير:

بِسَـيْفِ أَبِي رَغْـوَانَ سَـيْفٌ مجَاشِـعُ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

فَهَـلْ ضَـرْبَةُ الرُّومِـيّ جَاعِلَـةٌ لَكُـمْ أَبًا كَكُلَيْـبَ أَو أَخًـا مِثْـلَ دَارِمِ

فأجابه:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَـا بِيَـدِي وَرْقَـاءَ عَـنْ رَأسِ خَالِـدِ

كَـذَاكَ سُـيُوفُ الْهِنْـدِ تَنْبُـو ظِبَاتُهَـا وَتَقْطَـعُ أَحْيَـانًا مَنَـاطَ القَلَائِـدِ

عذر من يُكثر لبس الدرع في الحرب

روى الجراح بن عبد الله وقد لبس درعين في بعض الحروب فأكثر ناظره النظر إليه فقال له: والله يا هذا ما أقي بدني وإنما أقي صبري، فأُخبر بذلك سعيد بن عمرو وكان من فرسان الشام فقال: صدق؛ لأن لامة الإنسان حظيرة نفسه.

عوتب يزيد بن يزيد في إحكامه الدرع فقال: إن الله تعالى مع قضائه الأمور المحتمة أَمَرَ بالحذر وذكر ما في صنعه اللبوس.

قلة غناء الدرع عند حضور الأجل

سُئل ابن الحسين: في أي الجنن تحت أن تلقى عدوك؟ قال: في أجل مستأخر.

وقيل لأحدهم: أي الجنن أوقى؟ قال: العافية.

وقيل لآخر: لو استرحت؟ فقال: كفى بالأجل حارسًا.

وصف الدروع

قال المتنبي:

يَخُطُّ فَيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ يَنْفُذُهَا ... كَانَ كُلُّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ

ويستحسن لابن المعتز:

كَأَنَّهَا مَاءٌ عَلَيهِ جَرَى ... حَتَّى إذَا مَا غَابَ فِيهِ جَمُدْ

المستغني بجلادته عن التدرع والتقنع

قال أبو تمام:

إذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضًا لَبَسُوا ... مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعًا مَا لَهَا زِرْدُ

وقال مُسلَّمة:

عَلَــيَّ دِرْعٌ تَلِــينُ الْمُرْهَفَــاتُ لَــهُ ... مِنَ الشَّجَاعَةِ لَا مِن نسْجِ دَاوُدِ
إنَّ الَّـذِي صَـوَّر الأشْـيَاءَ صَـوَّرَنِي ... نَارًا مِـنَ الْبَـأسِ فِي بَحْـرٍ مِـنَ الْجُـودِ

المجيد من الرماة

قال إسماعيل بن علي:

إذَا تَمَطَّـــى قَائِمًـــا ثُمَّ انْثَـــنَى ... وَمَـــدَّها أَحْسَـــنِ مَـــدٍّ وِانثَـــنَى
أَرْسَـــلَ مِنْهَـــا نَافِـــذًا مُسَـــنَّنًا ... سِـــيَان مِنْـــهُ مَـــا نَأَى وَمَـــا دَنَا
يَسُوقُ أَسْبَابَ النُّحُوسِ وَالفَنَا

الرديء الرمي

نظر فليسوف إلى رامٍ سهامه تذهب يمينًا وشمالًا، فقعد في موضع الهدف وقال: لم أرَ موضعًا أسلم من هذا.

ورمى المتوكل عصفورًا فأخطأه فقال له ابن حمدون: أحسنت.

فقال: تهزأ بي؟ فقال: أحسنت على العصفور.

وصف جماعة الأسلحة

سأل عمر بن الخطاب عمر بن معدي كرب فقال: ما تقول في الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك، قال: فالنبل؟ قال: مَنايا تخطئ وتصيب.

قال: فالدرع؟ قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنها لحصن حصين.

قال: فالترس؟ قال: مجن، وعليه تدور الدوائر.

قال: فالسيف؟ قال: عنده ثكلتك أمك، قال عمر: بل أنت.

المحاربة بالحجر

أوصى أحد الأعراب ابنه وقد أرسله إلى محارة بعض أقرانه فقال: يا بني، كن بذا لأصحابك على ما فاتك، وإياك والسيف فإنه ظلة الموت، وألق الرمح، فإنه رسول المنية، ولا تقرب السهام؛ فإنها لا تؤامر مرسلها، قال: فبم أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر:

جَلَامِيــدُ إمْــلَاءِ الأكُــفِّ كَأَنَّهَــا ... رُءوُس رِجَـالٍ حَلَقَـتْ فِي الْمَوَاسِـمِ

أصوات الأسلحة

قال الحارث بن حلزة:

وَحَسِــبْتُ سُــيُوفَنَا بِرُءُوسِــهِم ... وَقْعَ السَّحَابَ عَلَى الطرَافِ الْمُشَرَّجِ

وقال هلال:

تَصِـيحُ الرَّدِينِيَّـاتِ فِينَـا وَفِـيهِم ... صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جَوْعَا

وقال آخر: تَنُقُّ عَوَالِيهِم نَقِيقَ الضَّفَادِعِ.

إيجاب المحاربة على المتسلح وتبكيته لتقصيره فيها:

قال ابن مرداس:

فَعَـلَامَ إنْ لَمْ أَشْـفِ نَفْسًـا حُـرَّةً ... يَا صَـاحِبيَّ أُجِيـدُ حَمْـلَ سِـلَاحِي

قال المتنبي:

إذَا كُنـتَ تَرْضَـى أَنْ أَعِـيشَ بذِلَّـةٍ ... فَـلَا تَسْـتَعِدْنَ الحُسَـامَ الْيَمَانِيَـا

وَلَا تَسْــتَطِيلَنَّ الرِّمَــاحَ لِغَــارَةٍ ... وَلَا تَسْـتَجِيدَنَّ العِتَـاقَ الْمُـذَاكِيَا

الاستظلال بالأسلحة

قال أعرابي من بني أسد:

وَفِتيَـــانٌ ثَنَيْـــتُ لَهُـــمْ رِدَائِـــي		عَلَـــى أَسْـــيَافِنَا وَعَلَـــى القِسِـــيّ

وقال:

وَمَـا اتَّخَـذُوا إِلَّا الرِّمَـاحَ سـرَادِقًا		وَمَـا اسْـتَتَرُوا إِلَّا بِضَـوْءِ الهَـازِمِ

ذل العذل في الحرب

قال الشاعر:

فَمَـنْ يَـكُ مِعْـزَالَ الْيَـدَيْنِ فَإِنَّـهُ		إِذَا كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ حَامِلُ

من صَاحَبَتُهُ الطيور والسباع

أول من وصف ذلك النابغة الذبياني فقال:

إِذَا مَا غَزُوا بِالْجَيْشِ حَاقَ فَوْقَهُم		عَصَـائِبُ طَـيْرٍ تَهْتَـدِي بِعَصَـائِبَ

وقال أبو تمام:

وَقَـدْ ظَلَّـتْ عقْبَـانُ أَعْلَامِـهُ ضُـحَى		بِعَقْبَـان طَـيْرٍ فِي الـدِّمَاءِ نَواهِـل

أَقَامَـتْ مَـعَ الـرَّايَاتِ حَـتَّى كَأَنَّهَـا		مِـنَ الجَـيْشِ إِلَّا أَنَّهَـا لَمْ تُقَاتِـلْ

وقال بشار:

إِذَا مَـــا غَـــزَا بُشِّـــرَتْ طَيْـــرُهُ		بِفَـــــتْحٍ وَبُشِّـــــرْنَا بِالـــــنِّعَمِ

المتزين بالجراحات

قال يعقوب بن يوسف:

وَخَيْــلٌ تَعْجَــزُ الإِرْسَــالِ عَنْهَــا		مَزَيَّنَـــــةٌ بِأَنْـــــوَاعِ الجِـــــرَاحِ

قال سلم الخاسر:

وَلَا خَيْرَ فِي الْغَازِي إِذَا آبَ سَالِمًا　　　إِلَى الحِمَـــــــى وَلَمْ يَتْحَـــــــدَّدِ

المتضرِّج بالدم

قال البحتري:

سُـلِبُوا وَأَشْـرَفَتْ الـدِّمَاءُ عَلَـيْهِمْ　　　مُحْمَـــرَةً فَكَـــأَنَّهُم لَمْ يُسْـــلَبُوا

وقال آخر:

تَضَــرَّجَ مِــنْهُمْ كُــلُّ خَــدٍّ مُعَفَّــرُ　　　وَعَفَـرَ مِـنْهُمْ كُـلُّ خَـدٍ مُضَـرَّجُ

القسم الرابع

في طلب الثأر والدية والرخصة في الاقتصاص

قال الله تعالى: فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ.[1]

والجروح قصاص فقد جعلنا لوليِّه سلطانًا فلا يُسرف في القتل.

قال الجاحظ: كانت الديَّة والصدقة مما عند الرجل إن تمرًا فتمرُ، وإن شاء فشاءُ، وكانوا يعيرون من ديته التمر، قال الشاعر:

أَلَا أَبْلِـــغْ بَـــنِي وَهْـــبٍ رَسُـــولًا   بِأَنَّ التَّمْـــرَ حُلْـــوٌ فِي الشِّـــتَاءِ

فعُيِّرِ في هذا بشيئين: بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر.

التعيير بترك الثأر والحث على أخذه

رُوي أن أعرابيين أصابهما قحط، فانحدروا إلى العراق جائعين، فوطئت رجل أحدهما فرس لفارس فأدمتها، وكان يسمَّى «حيدان» فتعلَّقا به وأخذا الدية، وكانا جائعين، فقصدا السوق وابتاعا طعامًا، فأكلا فقال الآخر:

فَـلَا حِـيرَةَ مَـا دَامَ فِي النَّـاسِ سُـوقُهُمْ   وَمَـا بَقِيَـتْ فِي رِجْـلِ حِيـدَانَ إِصْـبَعُ

تحريم الملاهي على المحارب وطالب الثأر

رُوي أن أحد عمال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار، فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجاج بن عبد الرحمن بن الأشعث فأجاب عن كتابه وجعل يقلب كفيه وقال لها: ما دونك مُنية المتمني، فقالت: وما يمنعك؟ قال: بيت الأخطل:

قَــوْمٌ إذَا حَــارَبُوا سَــدُّوا مَــآزِرَهُمْ   دُونَ النِّسَــاءِ وَلَــوْ بَاتَــتْ بِأَخْطَــارِ

فمكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث فكانت أول امرأة تمتع بها.

وقال معاوية: ما ذقت أيام صفين لحمًا ولا حلواء، بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت.

قال قيس بن الحطيم: حرام علينا الخمر إن لم نقاتل.

من حلَّت لَهُ الطَّيبَاتُ لِإدْرَاكِهِ الثَّأر

قال الشاعر:

اليَــومَ حَــلَّ لِي الشَّــرَابُ وَمَــا   كَــانَ الشَّــرَابُ يَحِــلُّ لِي قَبْــلُ

من نزع ثوب العار وانطلق لسانه

قال أخو إساف بن عباد اليشكري:

أَلَمْ يَأْتِهَــا أَنِّ صَــحَوْتُ وَأَنَّــنِي   شَـفَانِي مِـنْ دَائِـي المُخَـامِرِ شَـافِ

فَأَصْـبَحْتُ ظَبيًـا مُطْلَقًـا مِـنْ أَدِيمِـهِ   صَـحِيحَ الأَدِيمِ بَعْـدَ دَاءِ إِسَـافِ

وَكُنــتُ مُغَطًّــى فِي قِنَــاعِي خَفْيَــةً   كَشَـفْتَ قِنَـاعِي وَاعْتَطَفْتُ عِطَـافِي

وقال قاتل غالب:

وَقَـدْ كُنـتُ مَحْـرُورَ اللِّسَـانِ وَمُفْحَمًـا   فَأَصْـبَحْتُ أَدْرِي الْيَـوْمَ كَيـفَ أَقُـولُ

من لا يفوته الثأر

قال البحتري:

تــذُمُّ الفَتــاةُ الــرودُ شــيمَةَ بَعلِهــا   إذَا باتَ دونَ الثَأرِ وَهـوَ ضَـجيعُها

حَمِيَّـــةُ شَــغبٍ جَــاهِلِيّ وَعِــزَّةٍ كُلَيبِيَّــةٍ أَعيــا الرِجــالَ خُضــوعُها

من قتل بعض ذويه اقتصاصًا

قال قيس بن زهير:

شَـفَيتُ الـنَّفسَ مِـن حَمَلِ بـنِ بَـدرٍ وَسَـيفي مِــن حُذَيفَـةَ قَـد شَـفاني

فَـإِن أَكُ قَـد بَـرَدتُ بِهِـم غَليلـي فَلَـــم أَقطَـــع بِهِـــم إِلَّا بَنـــاني

قال أعرابي:

أَقُـــولُ لِلـــنَّفْسِ تِعْـــزَاءً وَتَسْـــلِيَةً إِحْـدَى يَــدَيَّ أَصَــابَتْنِي وَلَمْ تَــرِدِ

كِلاهُمَـا خَلْـفَ مِـن فَقَـدِ صَـاحِبِهُ هَـذَا أَخِـي حِينَ أَدْعُـوهُ وَذَا وَلَـدِي

الهوامش

(١) البقرة، آية ١٩٤.

القسم الخامس

في التحذير من الحرب وطلب الصلح

التحذير من تهييج الحرب والحث على الصلح

خطب سويد بن متحرق خطبة طويلة لصلح أمة فقال له رجل: أنت مذ اليوم ترعى في غير مرعاك، أفلا أدلك على المقال؟ فقال: نعم، فقال: أما بعد، فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام، فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتوهبوا الديات.

وقيل: الحرب صعبة والصلح أمن ومسرَّة.

وقال عبد الله بن الحسين: إياك والمعادة؛ فإنك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة لئيم.

وقال زيد بن حارثة: لا تستثيروا السِّباع من مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا.

وقيل: الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها.

وقال كثير:

رَمَيتُ بِأطرافِ الزجاجِ فَلَم يُفِق عَنِ الجَهلِ حَتَّى حَكَّمتهُ نِصالُها

التحذير من صغير يفضي إلى كبير

من أقوالهم: رب خطوة يسيرة عادت همة كبيرة.

وكتب نصر بن سيار إلى مروان بن مُحَمَّد في أمر أبي مسلم صاحب الدولة أبيات أبي مهيم:

أَرَى خَلَـلَ الرَّمَـادِ وَمِـيضَ جَمْـرٍ ويُوشِـكُ أنْ يَكُـونَ لَهَـا ضِـرَامُ
فَـإِنَّ النَّـارَ بِالزَّنْـدَيْنِ تُـرْوَى وَإِنَّ الْحَـرْبَ أَوَّلُهَـا كَـلَامُ
أَقُـولُ مِـنَ التَّعَجُّـبِ لَيْـتَ شِـعْرِي أَأَيْقَـاظٌ أُمَيَّـةُ أَمْ نِيَـامُ
فَـإِنْ يِـكُ قَوْمُنَـا أَمَنُـوا رُقُـودًا فَقُـلْ هُبُّـوا فَقَـدْ آنَ الْقِيَـامُ

ورأى أبو مسلم بن بحر في منشأ دولة الديلم هذه الأبيات مكتوبة على ظهر كتاب فكتب تحتها:

أَرَى نَارًا تَشِـبُّ بِكُـلِّ وَادٍ لَهَـا فِي كُـلِّ مَنْزِلَـةٍ شُـعَاعُ
وَقَـدْ رَقَـدَتْ بَنُـو الْعَبَّـاسِ عَنْهَـا فَأَضْـحَتْ وَهِـيَ آمِنَـةٌ تُـرَاعُ
كَمَـا رَقَـدَتْ أُمَيَّـةُ ثُمَّ هَبَّـتْ لِتَـدْفَعَ حِـينَ لَـيْسَ بِهَـا دِفَـاعُ

وقال آخر: أول الغيث قطر ثم ينسكب.

من الحبة تنبت الشجرة العميمة ومن الجمرة تكون النار عظيمة.

قال صالح:

قَـدْ يُحَقِّـرُ المَـرْءُ مَـا يَهْـوَى فَيَرْكَبُـهُ حَـتَّى يَكُـونَ إِلَى تَوْرِيطِـهِ سَـبَبَا

وصف الحرب بشدة

قال عمر بن الخطاب لعمر بن معدي كرب: أخبرني عن الحرب، فقال: هي مُرَّةُ المذاق إذا شمرت عن الساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف.

وقيل: موطنان تذهب فيهما العقول: المباشرة والمسابقة.

ووصف رجلٌ الحرب فقال: أولها شكوى وآخرها بلوى وأوسطها نجوى.

قال أبو تمام:

وَمَشْهَدين بَينَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنقطعٌ ... حِبالُـهُ بِحِبَـالِ الْمَـوْتِ تَتَّصِـلُ
ضَنْكٌ إذَا خَرَسَتْ أَبْطَالُهُ نَطَقَتْ ... فِيـهِ الصَّـوَارِمُ وَالخَطِيَّـةُ الـذبلُ

إصابة الحرب جانيها وغير جانيها

العرب تقول: الحرب غشوم لأنها قد تنال غير جانيها.

وقال الشاعر:

لَمْ أَكُـنْ مِـنْ جَنَّاتِهَـا عَلِـمَ اللهُ ... وَإِنِّي لِحَرِّهَـا اليَـومَ صَـالُ

وقال ابن الرومي:

رَأَيتُ جُنَاةَ الْحَرْبِ غَيْرَ كَفَّاتِهَا ... إذَا اخْتَلَفَ فِيهَا الرِّمَاحُ الشَّوَاجِرُ

التفادي من محاربة الأنذال

قصد الإسكندر موضعًا، فحاربته النساء، فكف عنهن، فقيل له في ذلك فقال: «هذا جيش إذا غلبناه فما لنا به فخر وإن غلبنا فتلك فضيحة الدهر».

وقال الشاعر:

قُبيـل لئَـام إنْ ظَفَـرنَا عَلَـيهِمْ ... وَإن يَغْلِبُـونَا يُوجِـدُوا شَـرًّا غَالِـبَ

وقال عمرو بن الأهيم:

لَـيْسَ بَيْـنِي وَبَـيْنَ قَـيْسٍ عِتَـابُ ... غَيْـرَ طَعْنِ الْكِلَي وَضَـرْبِ الرِّقَابِ

وقال الزبرقان:

فَلَنْ أُصَالِحُهُم مَا دُمْتُ ذَا فَرَسٍ ... وَأَشَـدُّ قَبْضًـا عَلَى الأَسْيَافِ إبْهَامِي

تبكيت من عُرض عليه صلح فلم يقبله

قال ابن قيس:

ومـولًى دَعَـاهُ الغِـيُّ وَالغِـيُّ كَاسْمِـهِ وَلِلْجُـبْنِ أَسْـبَابٌ تَصُـدُّ عَـنْ الحَـزْمِ
أَتَانِي يَشـبُّ الحَـرْبَ بَيْـنِي وَبَيْنَـهُ فَقُلْـتُ لَـهُ لَا بَـلْ هَلُـمَّ إِلَى السِّـلْمِ
وَلَمَّـا أَبَى أَرْسَـلْتُ فَضْـلَةَ ثَوْبِـهِ إِلَيْـهِ فَلَـمْ يَرْجِـعْ بِحَـزْمٍ وَلَا عَـزْمِ
فَكَـانَ صَـرِيعَ الجَهْـلِ أَوَّلَ مَـرَّةٍ فَيَا لَكَ مِنْ مُخْتَارِ جَهْلٍ عَلَى عِلْمِ

القسم السادس

في الهزيمة والخوف وأن الفرار لا يقي من الموت

قال الله تعالى :قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ.

وقال أمير المؤمنين يوم الجمل: إن الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهرب، وإن لم تُقتلوا تموتوا، وإن أشرف الموت القتل.

تفضيل القتل على الهرب

قال سقراط لرجل هرب من الحرب: فضيحة، فقال الرجل: شر من الفضيحة الموت.

وقال سقراط: الحياة إذا كانت صالحة، وإذا كانت رديئة فالموت أفضل منها.

ولما قتل الإسكندر ملك الهند قال لحكمائه: لِمَ منعتم الملك من الطاعة؟ قالوا: ليموت كريمًا ولا يعيش تحت الذل.

الممتنع من الفرار

قالت امرأة من عبد القيس:

أَبَـوْا أَنْ يَفِـرُّوا وَالقَضَـا فِي نُحُـورِهِم ... وَلَمْ يَرْتَقُـوا مِـنْ خِشْـيَةِ الْمَـوْتِ سَـلَمَا

وَلَـوْ أَنَّهُـمْ فَـرُّوا لَكَـانُوا أَعِـزَّةً ... وَلَكِن رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أحزَمَا

تعيير من آثار الحرب فهرب

قال الحصيفي:

جَنَيْـتُمْ عَلَيْنَـا الحَـرْبَ ثُمَّ ضَـجَعْتُم ... إلى السِّلم لَمَّا أَصْبَحَ الأَمْرُ مُبْهَمَا

المُعيَّر بانهزامه

قال الحجاج في كلامه: وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها لا يلوي الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه.

وقال المنصور لأحد الخوارج: عرفني من أشد أصحابي إقدامًا فقال: لا أعرفهم بوجوهم؛ فإني لم أرَ إلا أقفائهم.

وقال قيس بن عطية: منحناهم الهزيمة ونفضنا عليهم العزيمة.

وقال الموسوي:

إذَا مَا لَقَيتُ الجَيْشَ أَفْنَيْتُ جُلَّهُ　　　رَدى وَرَدَدتُّ الفَاصِلِينَ نَوَاعِيَا

وقال شاعر:

إذَا حَارَبُوا لَمْ يَنْظُرُوا عَنْ شِمَالِهِمْ　　　وَلَمْ يَمْسِكُوا فَوْقَ الْقُلُوبِ الخَوَافِقِ

ترك أتباع المنهزم

أوصى الإسكندر صاحب جيش له فقال: حبب إلى أعدائك الهرب، قال: كيف أصنع؟ قال: إذا ثبتوا جدَّ في قتالهم أو انهزموا لا تتبعهم.

وقيل لأمير المؤمنين: أنت رجل مجُرِّب وتركب بغلة، فلو اتخذت الخيل، فقال: أنا لا أفر ممن كر ولا أكر ممن فرَّ.

المتأسف على نجا ولم يؤسر

قال عوف بن عطية:

وَلَوْلَا عُلَالَةُ أفْرَاسِنَا　　　لَزَادَكُمْ الْقَوْمُ خِزْيًا وعَارَا

وقال أبو تمام:

لَـوْلَا الظَّـلَامُ وَعِلَّـةٌ عَلَقُـوا بِهَـا بَاتَـــتْ رِقَـــابُهُمْ بِغَـــيْرِ قِـــلَالِ
فَلْيَشْـكُرُوا جُـنْحَ الظَّـلَامِ ودرودًا فَهُـــمْ لِـــدَرُودِ وَالظَّـــلَامِ مـــوَال

الفارُّ في وقت الفرار والثابت في وقت الثبات

قال النحاسي: أنا شجاع إذا ما أمكنتني فرصة، وإن لم تكن لي فرصة فجبان.

وقيل: الهرب في وقته خير من الصبر في غير وقته.

وقيل: من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقرِّه فهو شجاع.

تفضيل الإحجام كونه أوفق على الأقدام

قال المهلب: الإقدام على الهلكة تضييع، كما أن الإحجام عن الفرصة عجز.

وقال المتوكل لأبي العيناء: إني لأخاف من لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين الكريمُ ذو خوف وإحجام، واللئيمُ ذو وقاحة وإقدام.

وقال مالك الأنصاري:

أُقَاتِـــلُ حَـــتَّى لَا أَرَى لِيَ مُقَـــاتِلًا وَأَنْجُـو إذَا غَـمَّ الجْبَـانُ مِـنَ الْكَـربِ

اعتذار هارب زعم أن هربه نبوة أو قدر

قال الشاعر:

أَيَـــذْهَبُ يَـــومٌ واحـــدٌ إن أَسَـــأْتُهُ بصـــالح أيامـــي وحُســـنِ بَلائيـــا
وَلَمْ تُـــرَ مِـــنّي نَبـــوةٌ قَبـــلَ هـــذه فِـــراري وتَرْكِـــي صَـــاحِبيَّ وَرَائيـــا

وقال عبد الله بن غلفاء:

وليس الفرار اليوم عار على الفتى إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

المتفادي من حضور الحرب

قيل لأحدهم لِمَ لا تغزو؟ فقال: إني أكره الموت على فراشي، فكيف أسعى إليه برجلي؟

ورأى المعتصم في بعض منتزهاته أسدًا، فنظر إلى رجل أعجبه زيه وقوامه وسلاحه، فقال له: أفيك خير؟ فعلم الرجل مراده، فقال: لا، فقال: لا؟! قبَّح الله سواك وضحك.

واجتاز كسرى في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وألقى سلاحه وربط دابته فقال له: يا نذل، نحن في الحرب، وأنت بهذه الحالة؟ فقال: أيها الملك، إنما بلغت هذا السن بالتوقي.

وصف المحتج لانهزامه بخوفه من القتل

قيل لرجل إنك انهزمت فقال: غضب الأمير عليَّ وأنا حي خير من أن يرضى وأنا ميت.

وقال الشاعر:

يَقُـولُ لِيَ الأَمِـيرُ بِغَـيرِ نُصْـحٍ تَقَـدَّم حِـينَ جَـدَّ بِنَـا المـِرَاسُ
وَمَـا لِي إنْ أطَعْتُـكَ مِـنْ حَيَـاةٍ وَمَـا لِيَ بَعْـدَ هَـذَا الـرَّأسِ رَاسُ

وقال آخر:

بَاتَـتْ تُشَـجِّعُنِي هِنـد وَمَـا عَلِمَـت أنَّ الشَّـجَاعَةَ مَقْـرُونٌ بِهَـا العَطَـبُ
لَا والَّـذِي مَنَـعَ الأَبْصَـارَ رُؤْيَتَـهُ مَا يَشْتَهِي المَوتُ عِندِي مَن لَهُ أَرَبُ
لِلحَـربِ قَـومٌ أَضَـلَّ اللهُ سَـعْيَهُمُ إذَا دَعَـتهُم إلَى نِيرَانِهَـا وَثَبُـوا

وَلَســـتُ مِـــنهُمْ وَلَا أَبغِـــي فِعَـــالَهُمُ   لَا الْقَتْـلُ يُعْجِبُـنِي مِـنهُمْ وَلَا السَّـلبُ

الهارب عن قومه

قيل: الشجاع يقاتل من لا يعرفه، والجبان يفر من عرسه، والجواد يعطي من لا يسأله، والبخيل يمنع من نفسه.

قال الشاعر:

يَفِـرُّ جَبَـانُ الْقَـوْمِ عَـنْ أُمِّ نَفْسِـهِ   وَيَحْمِي شَجَاعَ الْقَومِ مِنْ لَا يُنَاسِبُه

من نجا وقد استولى عليه الخوف

قال الشاعر:

فَـإِنْ يَـنْجُ مِنْهَـا الْبَـاهِلِيُّ فَإِنَّـهُ   قَطِيعُ نِيَاطِ الْقَلْبِ دَامِيَ المقَاتِلِ

قالت عابدة المهلبية:

فَـإِنْ ثَبَتُـوا فَعُمْـرُهُمْ قَصِـيرُ   وَإِنْ هَرَبُـوا فَـوَيلُهُمْ طَوِيـلُ

تسلية المنهزم

لما انهزم أمية بن عبد الله لم يدرِ الناس كيف يهنئونه أو يعزُّونه، فدخل عبد الله بن الأهتم فقال: الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا، فقد تقدمت للشهادة بجهدك ولكن علم الله حاجة الإسلام إليك فأبقاك له.

وقال شاعر:

لَقَـدْ خِفْـتَ حَـتَّى لَـوْ تَمُـرُّ حَمَامَـةٌ   لَقُلْـتُ عَـدُوٌّ أَوْ طَلِيعَـةُ مَعْشَـرِ

وقال آخر:

عَوَى الذِّئبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئبِ إذْ عَوَى   وَصَـوَّتَ إنْسَـانٌ فَكِـدتُ أَطِـيرُ

من زاد به الخوف

قال دعبل:

كأنمـا نفســه مــن طــول حيرتهـا منها على نفسه يوم الوغى رصد

المغلوب

كتب مروان إلى أحد الخوارج:

إني وإياك كالحجر للزُّجاجة، فالحجر إن وقع عليها رضَّها وإن وقعت عليه قضها.

استضعف ابن شبرمة رجلًا فقال: أنت حجة خصمك وسلاح عدوك وفريسة قرنك.

شيوع المخافة

قال حسَّان:

تَشِــيبُ النَّاهِــدُ العَــذْرَاءُ مِنْهَــا وَيَسْــقُطُ مِــن مَخَافَتِهَــا الجَنِــينُ

المصادر

- أدب الكتاب لابن قتيبة.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد.
- البيان والتبيين للجاحظ.
- كتاب النوادر لأبي علي القالى.
- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.
- العقد الفريد لابن عبد ربه.
- المعلقات.
- المفضليات.
- الأصمعيات.
- جمهرة أشعار العرب للقرشي.
- حماسة أبي تمام.
- حماسة البحتري.

الفهرس